سلسلة في رحاب
الوليّ الخامنئي دام ظله

الشخصيّة القياديّة
للنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم
في فكر الإمام الخامنئي دام ظله

شبكة المعارف الإسلامية
مركز نون للتأليف والترجمة

الشخصية القيادية

للنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

في فكر الإمام الخامنئي دام ظله

الـكـتـاب:	الشخصية القيادية للنبي محمّد ﷺ
إعـداد:	مركز نون للتأليف والترجمة
نـشـر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
تاريخ الطبع	الأولى 2015م / 1436 هـ

سلسلة في رحاب الولي الخامنئي دام ظله

الشخصية القيادية للنبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

في فكر الإمام الخامنئي دام ظله

مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الفهرس 5

المقدّمة 11

- الحقيقة الوجوديّة والخلقة النورانيّة للرسول الأعظم 15

السراج المنير 15

البشارة بالرسالة في أخبار الأديان السابقة 16

- السيرة الشخصيّة للرسول ﷺ 17

النسب الشريف 17

من نسل أفضل العائلات 18

- أرضيّة تثبيت الإسلام 19

بيئة الرسول ﷺ 19

عائلة الرسول ﷺ 19

- **الخصائص المعنويّة للرسول ﷺ** 32

التربية الإلهيّة 23

الارتباط بعالم الغيب 25

العصمة 26

الرسالة 27

المعجزات 28

القرآن 28

عظمة القرآن 29

كيفيّة النزول 30

مراتب النزول 32

لوازم إدراك القرآن 33

الصيانة من التحريف 38

المعراج 38

التصدّي للحكومة الإلهيّة والولاية المطلقة 39

المظلوميّة 40

استجماع الصفات العالية 42

خاتميّة النبوّة 42

- **آثار وبركات الرسول ﷺ** 45

تزلزل أعلام الشرك وعبادة الأصنام 45

نزول الرحمة الإلهيّة على البشر 47

حركة المسلمين نحو التكامل 47

الميل إلى الإسلام 48
وحدة المسلمين 48

- **أخلاق الرسول ﷺ وسيرته** 49

في العلاقة مع الله 50
العبوديّة لله 50
العبادة والاستغفار 51
ذكر الله دائمًا 52
الاعتماد على الله 53
عدم الخوف من أحد غير الله 53
أخلاقه في العلاقة مع نفسه 54
الانضباط والترتيب 54
الوقار والهيبة 56
النظافة والطهارة 56
بساطة اللباس 56
الثبات والاستقامة 58
في العلاقة مع الناس 58
الحياء والعفة 58
العفو والتسامح 58
الأمانة 60
المحبّة 61
الصدق والصلاح 61

الإنفاق 62
المعاملة الخالية من التكبّر 62
الشجاعة 63
التواضع 63
بلسم آلام البشريّة 64
الأخلاق الحكوميّة 65
العبوديّة والطاعة المحضة لله 65
الأساس هو العبوديّة لله 65
الدعوة إلى الحقّ والحقيقة 65
الجهاد في سبيل الدعوة إلى الحقّ 66
الوفاء بالعهود 67
تأسيس الحكومة الإسلاميّة 68
الاهتمام الجديّ بتأمين مصالح المسلمين 70
الصبر على المشقّات وتحمّلها 71
إيجاد النظام في المجتمع 72
العمل لإيجاد العدل بين الناس 72
المداراة 74
الدعوة إلى الولاية 75
اتّباع القانون الإلهي 76
معرفة العدوّ 78
العمل السياسي الدقيق في مواجهة العدوّ 79

إيجاد أجواء الوفاء ومعرفة الحقّ 81
الترويج للتعلّم 82
تهيئة الأجواء للعمل والسعي في المجتمع 83
الاهتمام بالماديّات للوصول إلى المعنويّات 83
نشر أجواء الأخوّة والتعاون 84
جعل حياة الناس ممزوجة بالقيم الإسلاميّة 84
جعل البيئة المحيطة سليمة 85
الترويج للتفاؤل ودفع سوء الظن 85
مواجهة نشر الشائعات 85
إزالة البُغض والحقد والعداء 87
إيجاد أجواء من المحبّة 88
محاربة اللامبالاة 89
محاربة البدع الجاهلية 90
الليونة مع المؤمنين والشدّة مع الكافرين 90
التعامل مع الأجانب 91
الاهتمام بالشباب 91
المشورة في اتّخاذ القرارات 93

- **تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم** 95

درس المعرفة 95
درس الأخلاق والحياة 95
السلوك والتعامل مع العائلة 95

التعامل مع الناس 98
سلوك المسؤولين مع الناس 98
التعامل مع المعلّمين والتلاميذ 99
التعامل مع الجميع بمحبّة 100
التعامل مع العقائد والقيود الاجتماعيّة الخاطئة 100
درس الحرب 101
الأهداف والدوافع 101
الأصول التي يجب مراعاتها في الحرب 101
كيفيّة قبول الصلح 103
أسلوب التعامل مع المنهزمين والأسرى 105
درس العزّة 106
درس التعليم 106
درس الرحمة والكرامة 107
درس الوحدة 107
أفضليّة الرسول ﷺ 108

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين وبعد.

لقد مرّ تبليغ الرسالة الإسلامية على يد النبيّ العظيم محمد بن عبد الله ﷺ بعد البعثة النبوية بالمراحل الآتية:

المواجهة الأولى وإنذار الأقربين: حين شاع خبر الإسلام في الجزيرة العربية، وبلغت الفئة المؤمنة المستوى الروحي الذي يؤهّلها لخوض الصراع ضد الباطل، كان لا بدّ من الانتقال إلى مرحلة الإعلان العام حيث كانت أولى خطواته إنذار الأقربين، لتبدأ المواجهة الشاملة بعد ذلك مع صناديد قريش وطواغيتها.

المواجهة الشاملة: كان لدعوة بني هاشم إلى الدين الجديد الأثر البالغ في أوساط القبائل العربية، فقد تبيّن لهم جديّة نبوّة محمّد ﷺ وخطورة الدين الذي يدعو الناس إليه، وهنا تهيّأت الظروف والبيئة المناسبة ليصدع محمّد ﷺ بالرسالة[1]، وعندها شعرت قريش بالتهديد العلني المباشر لكل معتقداتها ومشاريعها وكيانها. وهذا ما جعلهم يوجّهون سهام التشكيك والاستهزاء والسخرية بالنبيّ ﷺ وما يدعو إليه، والتضييق

(1) قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾. سورة الحجر، الآية 94.

والقتل والتعذيب والمقاطعة...، على كل من آمن واتبع محمّد ﷺ، وهنا كانت فكرة البحث عن ساحات أخرى لتبليغ ونشر الرسالة.

الهجرة: بعد عامين من الإعلان العام بالرسالة شعر النبي ﷺ بصعوبة تأمين الحماية لكل المسلمين من طغاة قريش، لهذا حثّهم على الهجرة إلى الحبشة لوجود ملك فيها لا يُظلم عنده أحد.

وتسارعت الأحداث بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة، وقرّر القرشيون المقاطعة الشاملة للنبي ﷺ وبني هاشم ومحاصرتهم حتى القضاء عليهم، ليفجع النبي ﷺ بعد ذلك بوفاة أبو طالب(رض) المدافع القوي عن الرسول والرسالة، ووفاة أم المؤمنين خديجة(رض) ثاني سندي الرسول ﷺ. في خضمّ هذه الأحداث الأليمة قرّر النبي ﷺ الخروج إلى الطائف حيث تقطن ثقيف أكبر القبائل العربية بعد قريش، ولكن ضاق أهلها بالنبي ﷺ فانصرف ﷺ راجعاً إلى مكة.

الهجرة الكبرى (نحو يثرب): بعد اكتمال الاستعداد الداخلي عند المسلمين في مكة المكرمة، وحصول نوع من التواصل بين النبي ﷺ وشخصيات وقبائل من يثرب، تطوّرت فيما بعد إلى حد البيعة فكانت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية حيث إستطاع النبي ﷺ تهيئة الأرضية المناسبة في يثرب، كساحة مناسبة لبناء الدولة.

وبنفس الوقت، اكتملت استعدادات قريش للتخلّص من النبي ﷺ بعد اجتماع دار الندوة الذي قرّر قتل النبي ﷺ وتفريق دمه بين القبائل،

عندها جاء الأمر الإلهي بالتحرّك والهجرة إلى يثرب. ويمكن إيجاز الخطوات التي قام بها النبي ﷺ بالآتي:

- **بناء المسجد ليكون مركزاً:** للعبادة والعمل وإدارة المجتمع وشؤون الناس.
- **المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:** بهدف تأسيس روابط جديدة بين الناس على أساس رابطة العقيدة والدين متجاوزاً عُلقة الدم والعصبية والقبلية.
- **معاهدة المدينة مع القوى الأخرى:** بهدف إنهاء حالات الصراع والقتال مع الآخرين ولاسيما اليهود، والتفرّغ لبناء المجتمع الداخلي توجّه النبي ﷺ نحو عقد معاهدة تعاون بين المسلمين وغيرهم من القوى، ويمكن القول إنّ هذه الصحيفة كانت بمثابة أوّل مشروع دستوري لبناء دولة إسلامية متحضِّرة في مجتمع المدينة.

هذا الكتاب «**الشخصية القيادية لرسول الإسلام محمد ﷺ في فكر الإمام الخامنئي** دام ظله» هو دراسة تحليلية موضوعية في صفات الشخصية القيادية لرسول الله ﷺ، معتمدة على قراءة ما حصل مع رسول الله ﷺ، قراءة موضوعية، وتحليلية، وذلك خلال مدة تبليغه للرسالة الإسلامية وبناء الدولة الإسلامية؛ من قبل الإمام السيد علي الخامنئي.

والحمد لله رب العالمين

مركز نون للتأليف والترجمة

الحقيقة الوجوديّة
والخلقة النورانيّة للرسول الأعظم ﷺ

السراج المنير

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1]؛ فالرسول ﷺ كان سراجًا منيرًا... وليس من شأن السراج أنّه إذا أراد الإنارة أنار، وإن لم يرد لم يُنِر. فالسراج منيرٌ أراد أم لم يُرد. أينما كان وجوده، يجعل ذلك المحيط منوّرًا ونورانيًّا. لقد شبّه الله سبحانه الرسول بالسراج، ليس السراج المطفأ، بل المضيء: السراج المنير. أينما يكون، يجعل جوّ حياة الرسول ﷺ وذلك المحيط منوّرًا أساسًا. كان ينير الجوّ بأخلاقه، بمسلكه، بطريقة عمله، بتعامله، بعلمه، بحكمته؛ سواءٌ أعطى الدروس لأحد أم لا. لم يكن نورُ الرسول ﷺ يضيء فقط حين كان يذهب إلى المسجد ويعظ الناس؛ بل كان ينير أيضًا عندما كان يجلس في بيته، وحين يكون ساكتًا، وعندما كان يمشي، وحين يكون في ميدان القتال، في كلّ تلك الأوضاع والأحوال، كان وجود الرسول

(1) سورة الأحزاب، الآيتان 45 و 46.

ينير؛ كان مُنَوِّرًا ومنيرًا في الوقت نفسه؛ وذلك لأنّ تمام حركات الرسول وسكناته وأقواله وأعماله، كانت كلّها في خدمة الله وفي سبيل الله[1].

البشارة بالرسالة في أخبار الأديان السابقة

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[2]؛ حيث بشّر[3] كلا هذين الكتابين بمجيء[4] الرسول ﷺ.

---

(1) خطاب في لقاء الأخوة في الحماية الشخصيّة (9/8/1365)(31/10/1986).

* الإمام الخميني، الأربعون حديثًا، ص 551:

إعلم أنّ لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام مقامًا روحانيًّا شامخًا، في السير المعنويّ إلى الله، يفوق قدرة استيعاب الإنسان حتّى من الناحية العلميّة، وأسمى من عقول ذوي العقول وأعظم من شهود أصحاب العرفان. كما يُستفاد من الأحاديث الشريفة، أنّهم صلوات الله عليهم يشاركون الرسول الأكرم ﷺ في مقام الروحانيّة، وانّ أنوارهم المطهّرة كانت تسبّح وتقدّس للذات المتعالية قبل خلق العالم. إنّ الأحاديث المأثورة في طينة أبدانهم، وخلق أرواحهم ونفوسهم، وفيما مُنحوا من الاسم الأعظم، والعلوم الغيبيّة الإلهيّة من علوم الأنبياء والملائكة، وممّا هو أعظم ممّا لا يخطر على بال أحد، وهكذا الأخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الأبواب من الكتب المعتبرة وخاصّة كتاب أصول الكافي، إنّ مثل هذه الأخبار كثيرة إلى الحدّ الذي تبعث على تحيّر العقول، ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم عليهم الصلوات إلّا أنفسهم.

(2) سورة الأعراف، الآية 157.

(3) ... من جملة هذه البشارات الآيات 14 و15من كتاب يهودا الذي يقول: «الآن يأتي الرب مع 10 آلاف من المقدّسين ليحكم الجميع ويدين كلّ من لادين له و... (نقل من النص)»، حيث ينطبق العشرة آلاف مقدّس فقط على أصحاب الرسول ﷺ الذين كانوا معه في قصّة فتح مكّة. (مختصر حياة محمّد، السيد هاشم رسول محلّاتي، ص7) وقد ورد في الفصل الرابع من إنجيل يوحنّا (16 و17 و25 و26: إذا كنتم تحبّونني، فاحفظوا أحكامي، وسوف أطلب من أبي و... سيكون معكم دائمًا. «الخلاصة؛ الحقيقة التي لا يمكن تقبّلها؛ لأنّه لا يراها ولا يعرفها. أنتم تعرفونها، ذلك أنّها تبقى معكم وسوف تكون فيكم. لقد قلت لكم ما دمت فيكم؛ لكنّ فارقليط الروح القدس الذي يرسله الله باسمي، سوف يعلّمكم كلّ شيء، وسوف يذكركم بكلّ ما قلته لكم». طبقًا للتحقيق، الفارقليط التي تُرجمت بالعربيّة «بركليتوس» بمعنى «أحمد»، وقد ترجمه مترجمو الأناجيل عمدًا أو خطًا بـ «المسلّي»! (آية الله جعفر سبحاني، نور الأبديّة، ص89)

(4) سلسلة أبحاث أصول العقائد.

السيرة الشخصيّة للرسول ﷺ

النسب الشريف

قبل بعثة الرسول ﷺ كان في مكّة مؤمنون...؛ وهم أنفسهم الذين كانوا على دين الحنفيّة. وقد كان آباء الرسول ﷺ وأجداده[1] مؤمنين[2].

---

(1) يعود نسب الرسول الأكرم ﷺ إلى النبيّ إسماعيل ـ بن النبيّ إبراهيم ـ ولهذين الشخصين وبعض أسلاف نبيّ الإسلام العظماء سهم مهمّ في تاريخ العرب والإسلام... (آية الله جعفر سبحاني، نور الابديّة، ص89).

أجداد نبيّ الإسلام بالترتيب هم عبارة عن : عبد الله، عبد المطّلب، هاشم، عبد مناف، قصيّ، كلاب، مرّة، كعب، لؤي، غالب، فهر، مالك، نضر، كنانة، خذيمة، مدركة، الياس، مضر، نذار، سعد، عدنان. (تاريخ نبيّ الإسلام، آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس صفايي حائري، ص115)

قُسّم أهالي شبه الجزيرة العربيّة خلال قرون ما قبل الإسلام، إلى قسمين... قاطني المنطقة الجنوبيّة للحجاز، طبقًا لشجرة الأنساب التي وضعوها، يرجعون نسبهم إلى يعرب بن قحطان، الابن الخامس لنوح كما يعرّفونه، في حين يعرّف ساكنو الوسط والقسم الشمالي من شبه الجزيرة العربيّة أنفسَهم بأنّهم يعودون في النسب إلى عدنان أحد أحفاد إسماعيل. (السيرة التحليليّة للإسلام، السيّد جعفر شهيدي، ص3 «نقلًا عن مروج الذهب، ج1، ص300»)

آخر من سكن الحجاز كانوا يُسمّون بالإسماعيليّين. إسماعيل هو بن إبراهيم (عليه السلام)، وقد سكن بالقرب من الكعبة، وعمّر أبناؤه الحجاز، وفي الحقيقة، كانوا السبب في عظمة وتطوّر الحجاز. يُقال أنّ إسماعيل هو الذي بنى الكعبة. (أمير علي، المترجم: محمد تقي فخر داعي الكيلاني، تاريخ العرب والإسلام، ص5، منشورات كنجينه).

(2) من كلمةٍ له في لقاء المجلس التنسيقي للإعلام الإسلامي(3/10/1360) (24/12/1981).

من نسل أفضل العائلات

وُلد الرسول الأكرم ﷺ في عائلة كبيرة، عائلة معروفة بجذورها العظيمة. بالطبع، عاش الرسول نفسه – وللمصادفة – في فترة الولادة ومرحلة الطفولة والحداثة حياةَ الفقر، وكان هذا أمرًا عارضًا؛ وإلّا، فقد كانت عشيرة بني هاشم[1] تُعدّ من الفروع الهامّة ومن سادة قريش، ومن العائلات الشريفة فيها. هل تعرفون من هم أعمام الرسول وأيّ احترام كانوا يلقون؟! فقد كان حمزة نفسُه أو أبو لهب أو الآخرون يُعدّون من العائلات العريقة. في مثل هكذا عائلة ولد رسول الله ﷺ[2].

(1) على الرغم من كثرة القبائل، كان العرب خاضعين لقريش ومنقادين لها، وكانوا يعتبرونها أشرف منهم. وقد قال أبو طالب في خطبته المعروفة عند خطبة الرسول الأكرم ﷺ لخديجة: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريّة إسماعيل أَنْزَلَنا حرمًا آمنًا وجعلنا الحكّام على الناس». (العلّامة المجلسي، بحار الأنوار: ج16، ص14). فلندقّق في الجملة الأخيرة. يتبيّن من هذه الجملة أنّ قريشًا كان لها الحكم والأمر على العرب. وقد خطب هاشم في اليوم الأوّل من ذي الحجّة خطبة في قريش جاء فيها: «يا معشر قريش! ألستم سادة العرب وأحسنها وجوهًا وأعظمها أحلامًا وأوسطها أنسابًا». (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج15، ص211) يظهر من هذه العبارات أنّ قريشًا كانوا سادات العرب من جهة العقل، حسن المظهر، الجمال وشرافة النسب، وكانت لهم الأفضليّة والإمرة على جميع العرب. (سيرة نبيّ الإسلام، آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس صفايي حائري، ص115).

(2) من كلمة له في القيادة المركزيّة للحرس(17/7/1367) (9/9/1988) .

أرضيّة تثبيت الإسلام

بيئة الرسول ﷺ

في مثل هذه الظروف ظهر الرسول الأكرم ﷺ؛ ومن عائلة وشجرة ليس من السهل لأحد مواجهتها. فلو كان الرسول ﷺ قد اختير من بين العائلات الضعيفة أو من عائلات المجتمع السفليّ، لكان التصدّي له أسهل بالنسبة للمتنفّذين، ولقلّ احتمال تجذّر هذه الشجرة.

وكانت أخلاق هذا الإنسان وتصرّفاته وشخصيّته، على امتداد حياته إلى الأربعين سنةً، تلقي بظلالها على الجميع. في هذه السنوات، بدأ دعوته، وكلّ هذه كانت ظروفًا ومقدّمات لأن تبقى غرسة الإسلام[1].

عائلة الرسول ﷺ

تُوفي والده ﷺ قبل ولادته؛ وعلى رواية أخرى، بعد ولادته بعدّة أشهر.

طبقًا لعادات العائلات الشريفة والأصيلة في الحجاز، حينذاك، كانت تُودِع أولادها لدى النساء العفيفات والنجيبات ليربّينهم بين القبائل

(1) من كلمة له في القيادة المركزيّة للحرس(17/7/1367) (9/9/1988).

العربيّة، أُودِع هذا الطفل العزيز، نور عين عائلته، لدى امرأةٍ أصيلة ونجيبة ـ من بني سعد ـ تُدعى حليمة السعديّة. فحملته معها إلى قبيلتها، وبقي ذلك الدرّ النفيس عندها ستّ سنوات، أرضعته وربّته؛ لذا، ترعرع النبيّ في الصحراء [بين القبائل العربيّة].

ومن وقت لآخر، كانتْ تُحضِر هذا الطفل لأمّه ـ السيّدة آمنة ـ لتراه ومن ثمّ تُرجعه. بعد ستّ سنوات حيث تلقّى هذا الطفل من الناحية الجسميّة والروحيّة تربيةً ممتازة؛ حيث أصبح من الناحية الجسديّة قويًّا، وجميلًا، ونشيطًا ومجرّبًا [مقتدرًا]؛ ومن الناحية الروحيّة كان قويًّا، وصبورًا، وحسن الأخلاق والمسلك، وبعيد النظر - والتي هي لازمة للحياة في تلك الظروف - أُعيد إلى أمّه وعائلته. حملت الأمّ هذا الطفل وأخذته معها إلى يثرب لزيارة قبر أبيه ـ الذي تُوفّي هناك ودُفن. فيما بعد، حين قصد الرسول ﷺ المدينة وكان مارًّا من هناك قال: هنا دُفن والدي وأذكر أنّني جئت مع والدتي إلى هنا لزيارته. وفي طريق العودة، وفي منطقةٍ تُسمّى بالأبواء، تُوفّيت الأمّ، ليصبح الطفل يتيم الأبوين. فحملته أمّ أيمن[1] إلى المدينة وأودعته عند جدّه. اعتنى عبد المطّلب بهذا الطفل واحتضنه كاحتضانه روحه ومهجته. وفي أحد أشعاره يقول عبد المطّلب: إنّني كأمّ بالنسبة إليه. اهتمّ هذا الشيخ الذي قارب المئة سنة ـ وكان رئيس قريش وعزيزًا في قومه، وفائق

(1) كانت أمّ أيمن جارية لعبد الله أو لآمنة بنت وهب، حيث أُعتقت فيما بعد، وتزوّجت من « الحارث الخزرجي». بعد موت الحارث تزوّجت من زيد بن حارثة، وكانت ثمرة هذا الزواج «أسامة بن زيد».

الاحترام. اهتمامًا بالغًا بهذا الطفل، حتّى لا تظهر عقدة النقص العاطفي فيه على الإطلاق؛ وبالفعل لم تظهر؛ وإنّه لأمرٌ مدهش أن يتحمّل هذا الحَدَث قساوةَ العيشِ من دون أبٍ وأمّ، وذلك لكي تزداد قابليّته ويقوى استعداده؛ لكن لم يحدث له حتّى مقدار رأس إبرة من الدونية[1]، التي يمكن أن تصيب أطفالًا في مثل سنّه. فقد كرّمه عبد المطّلب وأعزّه، بنحوٍ مثير للدهشة.

ورد في كتب التاريخ والحديث أنّ بساطًا ومسندًا كان يُفرش لعبد المطلب إلى جانب الكعبة، فكان يجلس عليه وكان يجتمع حوله أبناؤه وشبابُ بني هاشم بعزّة واحترام. عندما كان يغيب عبد المطّلب أو يكون داخل الكعبة، كان هذا الطفل يأتي ويجلس مكانه. وحين كان عبد المطّلب يعود، كان شباب بني هاشم يطلبون من هذا الطفل القيام قائلين: إنّ هذا المكان مكان أبينا؛ فيقول عبد المطّلب: لا، هذا مكانه، وينبغي أن يجلس هنا. حينذاك، كان [عبد المطلب] يجلس جانبًا ويترك ذلك الطفل العزيز والشريف والمكرّم جالسًا في مكانه. كان عمره ثماني سنوات حين مات جدّه.

وفي الرواية أنّه عندما حضرت عبدَ المطلب الوفاة، استدعى أبو طالب ابنه الشريف والنجيب، وأخذ منه عهدًا وأودعه هذا الطفل؛ وطلب منه الاهتمام به كما كان يفعل هو. وافق أبو طالب واصطحب الطفل معه إلى منزله واحتفى به كعزيزٍ له. حمى أبو طالب وزوجته المرأة العربيّة

(1) أو بمعنى عقدة النقص.

الشجاعة، أي فاطمة بنت أسد والدة أمير المؤمنين عليه السلام هذا الإنسان العظيم لمدّة تقرب من أربعين عامًا وساعداه. في هذه الظروف كانت طفولة وشباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. تجذّرت في هذا الطفل الخصال الأخلاقيّة المتعالية، والشخصيّة الإنسانيّة العزيزة، والصبر والتحمّل الكبيران، والتعرّف على الآلام والعذابات التي قد تحصل للإنسان أثناء الطفولة، مهّدت الأرضيّة لنسج شخصيّة هذا الطفل العظيمة والعميقة. وفي هذه المرحلة، رافق أبو طالب في سفر بقصد التجارة.

تكرّرت أسفار التجارة، حتّى وصل إلى مرحلة الشباب ومرحلة الزواج من خديجة وبالتالي مرحلة الأربعين التي هي مرحلة النبوّة[1].

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

الخصائص المعنويّة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم

التربية الإلهيّة

إنّ تعليم وتأديب الأنبياء عليهم السلام -باعتبارهم تلامذة حضرة الأحديّة [الواحد الأحد] الخاصّين- أمرٌ موجود؛ إلّا أنّ البعثةَ، أمرٌ إضافي على التعليم. في البعثة، هناك التعليم والتهذيب والتزكية أيضًا؛ وفيها الإتيان بالكتاب والحكمة؛ إلّا أنّ هذه الأمور ليست كلّ شيء؛ بل هناك شيء يُضاف على ذلك وهو البعث[1].

لقد ربّى الله تعالى الشخصيّة الروحيّة والأخلاقيّة لذاك العظيم في ظروفٍ وهيّأها لتتمكّن من حمل الأمانة العظيمة.

وعلى هذا الأساس، كانت تزداد القابليّة الروحيّة لهذا الطفل الذي أُوكلت إليه مهمّة تربية عالَم، بناءً على سعته الوجوديّة والأخلاقيّة. وتجذّرت في هذا الطفل الخصالُ الأخلاقيّة المتعالية، الشخصيّة الإنسانيّة العزيزة، الصبر والتحمّل الكبيران، التعرّف على الآلام والعذابات التي قد تواجه الإنسان أثناء الطفولة[2].

---

(1) من كلام الإمام الخامنئي في لقاء مسؤولي النظام (19/9/1375) (9/12/1996).
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379).

لن يوكل الله تعالى أمر هذه المسؤوليّة الخطيرة والعظيمة إلى من لم يحظَ بأعلى مستويات مكارم الأخلاق؛ لذلك خاطب الله تعالى الرسول ﷺ في أوائل البعثة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

إنّ بناء وصقل شخصيّة الرسول ﷺ ليصبح محلًّا مناسبًا للوحي الإلهي، هي مسألة تعود إلى مرحلة ما قبل البعثة؛ لذلك جاء أنّ الرسول الأكرم ﷺ الذي اشتغل في شبابه بالتجارة، حيث كان يحصل على أموالٍ كثيرة من هذا الطريق، كان يتصدّق بجميع هذه الأموال على الفقراء. في هذه المرحلة التي هي المرحلة الأخيرة للتكامل النبوي وقبل نزول الوحي- المرحلة السابقة على النبوّة - كان الرسول يقصد جبل حراء وينظر إلى الآيات الإلهيّة: إلى السماء، والنجوم، والأرض، والخلائق التي تعيش على الأرض والتي تحمل عواطف وأحاسيس متنوّعة طبق أساليب متعدّدة. كان يرى آيات الله تعالى في كلّ ذلك وكان يزداد خضوعه يومًا بعد يوم مقابل الحقّ، ويزداد خشوع قلبه مقابل الأمر والنهي الإلهيّين والإرادة الإلهيّة وتنمو فيه بذور الأخلاق الحسنة. وفي الرواية أنّه: «**كان أعقل الناس وأكرمهم**»[2]. وكان الرسول ﷺ قبل البعثة يزداد غنًى [كمالاً] يومًا بعد يوم حتّى وصل إلى الأربعين. «**فلمّا استكمل أربعين سنة ونظر الله عزّ وجل إلى قلبه، وجده أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها**

(1) سورة القلم، الآية 4.

(2) العلامة المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج 17، ص 307، الطبعة الثانية المصححة، 1403 ـ 1983م، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان.

وأخضعها»[1]؛ في عمر الأربعين أصبح قلبه منوَّرًا وخاشعًا وأكثر القلوب استعدادًا لتلقّي النداء الإلهي.

«**أَذِنَ لأبواب السماء، ففُتحت، ومحمّد ينظر إليها**»[2]. عندما وصل إلى هذه المرحلة من المعنويّة والروحانيّة والنورانيّة وأوجّ الكمال، فتح الله تعالى أمامه أبواب السماء وأبواب عوالم الغيب؛ وفتح عينيه على العوالم المعنويّة والغيبيّة . «**وأَذِن للملائكة فنزلوا ومحمد ينظر إليهم**»[3]؛ كان يرى الملائكة ويكلّمهم، ويسمع كلامهم حتّى نزل إليه جبرائيل الأمين وقال: ﴿اَقْرَأْ﴾[4] وكانت بداية البعثة[5].

الارتباط بعالم الغيب

إنّ ينبوع البعثة التي فاضت وجرت في قلب النبيّ الأكرم المقدّس ﷺ، كان له مسار مهمّ؛ فالمسألة لا تنتهي عند حدود أن يضيء الله حقيقةً ونورًا في قلب إنسان مميّز وبارز واستثنائي؛ هذه هي الخطوة الأولى وهي بداية العمل. طبعًا، هنا الجزء الأهمّ في القضيّة. إنّ إشعاع هذا النور في قلب الرسول المقدّس والمبارك وتحمّله مسؤوليّة الوحي، هو ذاك الجزء الذي يصل [يربط] - وبشكلٍ صريح - عالم الخلق وعالم الوجود الإنساني والمادّي بمعدن الغيب. هنا تكمن حلقة الوصل.

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 17، ص 307.
(2) م. ن.
(3) م. ن.
(4) سورة العلق، الآية 1.
(5) من كلامه في لقاء مسؤولي النظام وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلاميّة (31/5/1385).

وعلى الرغم من أنّ البركات الإلهيّة كانت حاضرة دائمًا، طيلة المسيرة التي سنشير إليها – فيما يتعلّق بالبشر وفيما يتعلّق بهذا الطريق – فإنّ حلقة الوصل قد تجلّت في لحظة البعثة التي انسابت وجرت من عالم الغيب، منبع الحقائق الإلهيّة ومنبع البعثة – وهذه الكلمة كافية – إلى روح الرسول المقدّسة وفاضت على قلبه ﷺ. فالخطوة الأولى، هي حصول هذه البعثة[1].

العصمة

العصمة تعني حالة الحفظ. والمعصوم هو الشخص المحفوظ الذي لا يهدّده خطر. أمّا أنه لا يهدّده خطر؛ فليس لأنّه وصل إلى نقطة لا وجود فيها للخطر أصلًا وذاتًا؟، بل معنى ذلك أنّه وصل إلى نقطة قد بلغت المراقبة وقوّة الانتباه [اليقظة] والتقوى مستوىً بحيث لا شيء فيه يقبل الفساد. ولو لم يحصل للرسول الأكرم ﷺ تلك الحالة من التقوى في أعلى مراتبها المتصوّرة عند البشر، لكان معرّضًا للخطر.

إنّ طبيعة الإنسان وذاته قابلة للفساد [والنقص]؛ ولكن عندما يصل الإنسان إلى ذاك المستوى من الانتباه والتقوى الموجودَين في تلك الشخصيّات العظيمة، عند ذلك تحصل العصمة. ماذا يعني ذلك؟ يعني عدم وجود خطر يهدّده مع هذا المقدار من المراقبة. وكلّ من كانت

(1) من كلامه في لقاء مسؤولي النظام (19/9/1375).

مراقبته أدنى من ذلك، فهو دائمًا في معرض الخطر[1].

كان النبيّ ﷺ يمتلك قناعة وطهارة شخصيّة، ولم يكن في وجوده المبارك أيّ نقطة ضعف. كان معصومًا طاهرًا وهذا بحدّ ذاته عامل مهمّ في التأثير[2].

الرسالة

أرى من المناسب هنا، الإشارة إلى أهميّة دعاء الندبة، الذي هو في الحقيقة خطبةٌ غَرّاء توضّح الاعتقادات والآمال وتألُّق الفرقة الإماميّة والشيعة طوال التاريخ. لاحِظوا، إنّ هذا النّهج الواضح موجودٌ في بداية دعاء الندبة؛ «**الحمد لله على ما جرى به قضاؤك في أوليائك**»[3]. وقد استمرّ هذ النهج منذ بداية تاريخ الرسالات إلى عصر رسالة النبيّ الخاتم.

---

(1) من كلامه في لقاء موظفي دائرة التدقيق والمحاسبة في مكتب الإمام القائد (20/7/1372).

* الإمام الخميني، الجهاد الأكبر، ص 44:
إنّ عصمة الأنبياء والأولياء لا تعني أنّ جبرائيل - مثلًا- يأخذ بأيديهم ويرشدهم إلى ما ينبغي فعله.(وبطبيعة الحال لو أنّ جبرائيل أخذ بيد شمر بن ذي الجوشن على هذا النحو لما ارتكب محرّمًا أبدًا)؛ بل العصمة وليدة الإيمان؛ فإذا آمن الإنسان بالله تعالى ورآه بعين القلب كما يرى الشمس بناظريه، فمن غير الممكن أن يرتكب ذنبًا أو معصية . فإذا كنت على مرأى ومسمع من رجل قويّ مسلّح، فإنك تجتنب القيام بما يسوؤه، وهكذا الإنسان الذي يعتقد ويتيقن من أنّه على مرأى ومسمع من الله تبارك وتعالى وأنّه دائمًا، حاضر بين يديه سبحانه، فإنّه لن يتجرأ على ارتكاب ما لا يرضاه الله. فالمعصومون عليهم السلام وبعد أن خُلقوا من طينة طاهرة ونتيجة للرياضات واكتساب الملكات الخلقية الفاضلة أصبحوا يرون أنفسَهم دائما في محضر الله سبحانه الذي يعلم ويحيط بكل شيء، ويؤمنون بمعنى « لا اله إلا الله» وأنهم على يقين من أنّ كلّ شيء زائل إلا الله وأنّه ليس بمقدور أحد التأثير على مصائرهم : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (سورة العنكبوت، الآية 88).

(2) خطبتي صلاة الجمعة في طهران(28/2/1380).

(3) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، دعاء الندبة.

أمّا مضمون الرسالة التي هي عبارة عن دين الله، فهو في الحقيقة تأسيس وتوجيه وقولبة لكافّة الجهود الإنسانيّة. الدين يعني صراط الحياة. إذا نظرتم إلى مجتمعٍ إنساني وإلى بلدٍ ما، فستشاهدون أنّ النّاس في هذا المجتمع يبذلون جهودًا متنوّعة في سبيل مسائلهم الشخصيّة والعاطفيّة والحياتيّة والعموميّة، ويأتي الدين ليوجّه كافّة هذه النشاطات، ويهديها ويساعد العقل الإنساني ليتمكّن - وبسرعة - من تنظيم هذه النشاطات، بما يؤدّي إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة[1].

المعجزات

القرآن:

القرآن، كتابٌ عظيم، ذو شأنٍ سام واستثنائي؛ هو مجموعة محدودة- ثلاثمئة أو أربعمئة صفحة - إلّا أنّ كافّة المعارف الضروريّة للذهن في معرفة حقيقة العالم، قد وضعها الله فيه بشكل عميق، وهو ليس لمستوى معين، بل يمكن للإنسان مهما بلغ من شأنٍ فكري، أن يغوصَ ويخوضَ ويتعلّمَ من هذا المحيط العميق، وهذا بحدّ ذاته معجزة كبيرة. خُذوا كتابًا علميًّا عميقًا على سبيل المثال؛ فالإنسان العاميّ لا يفهمه، وإذا ما ارتقت معلومات الإنسان قليلًا، يفهم أشياء منه؛ وإذا ما ارتقت معلوماته أكثر، تمكّن من الاستفادة العليا منه؛ وإذا ارتقى أكثر من ذلك فقد يكون الكتاب بالنسبة إليه مذكّرًا مفيدًا عند الرجوع إليه، ولكن إذا ارتقى الإنسان أكثر

(1) من كلام الإمام القائد في جمع زائري الحرم الرضوي(1/12/1381).

من ذلك، يصل إلى مكان يصبح الكتاب بالنسبة إليه غير مهمّ؛ فالإنسان المتبحّر والعارف بعلم ما والذي دَرَّس كتابًا ما مئة مرة، وتعلَّم ونقَدَ الكثيرَ من الأمور فيه، فلن يعُد في هذا الكتاب أيّ جديد بالنسبة إليه. أمّا القرآن فليس كذلك. القرآن يحمل كلامًا جديدًا حتّى للرسول الذي نزلت هذه المعارف على قلبه وسمعه وذلك حتّى أواخر لحظات حياته. كلّما تعمّق الإنسان في القرآن، تمكّن من إدراك المزيد من الأمور والأشياء[1].

عظمة القرآن:

القرآن ليس كتابًا عاديًا نطبع منه عدّة آلاف من النسخ، ثمّ نشجّع الآخرين وندفعهم لمطالعته؛ كالكتب العادية التي نجد أخيرًا شخصًا يقرأها من البداية إلى النهاية، وإذا استساغ هذا الشخص الكتاب، قرأه مرة ثانية أو ثالثة؛ إنّ أجمل الكتب يقرأها الإنسان مرّتين أو ثلاثة في أحسن الأحوال، وبعد ذلك ينتهي منه. القرآن ليس كذلك؛ القرآن ليس كتابًا للقراءة والانتهاء منه؛ هو كتابٌ يجب أن تكونَ مفاهيمه جزءًا من وجود الإنسان؛ وجزءًا من ذهن الإنسان؛ وجزءًا من التكامل الحقيقي والمعنوي لروح الإنسان؛ لذلك لا يمكن الحديث في القرآن حول المطالعة مرّة، أو مرّتين أو عشر مرّات؛ روح الإنسان هي التي يجب أن تفهم القرآن. ليست المسألة، مسألة الفكر والذهن حيث يجب على الإنسان

---

(1) من كلامه في لقاء الطلاب المشاركين في مسابقات القرآن(22/2/1378).

* الإمام الخميني، آداب الصلاة، ص182:

إنّ فهم عظمة القرآن، خارجٌ عن دائرة الإدراك؛ إلّا أنّ إشارة إجمالية إلى عظمة هذا الكتاب المتنزّل الموجود بين أيدي كافّة البشر، تؤدّي إلى فوائد كثيرة.

الدقّة والفكر ليفهم شيئًا منه؛ بل يجب على روح الإنسان أن تفهم القرآن. تستبطن الآيات الكريمة في القرآن ذلك القدر الواسع من المفاهيم، التي إذا ما تدبرّ فيها الإنسان باستمرار، وجد أشياء جديدة[1].

كيفيّة النزول:

المسلّم به وجود اختلافٍ في كيفيّة نزول هذه الآيات على قلب الرسول المبارك وكيفيّة نزولها على سمعه المبارك. أن تتنزّل هذه المعارف من المقام الأعلى - من الحضرة الربوبيّة - إلى الحدّ الذي يمكن لإنسانٍ ولقلب إنسان أن يفهمه ويدركه، هو «**النّزول**» (التنزّل) نفسه. وقد حصل هذا الأمر مع الرسول ﷺ، حيث أُلهم قلبه المبارك؛ أي أنّ هذه المعارف قد اتّضحت بالنسبة إلى ذاك القلب النوراني؛ وبعد ذلك نزلت على سمعه المبارك على صورة كلمات، فسمع وحدّث الناس بما سمع. لكن بإمكاننا

(1) من كلامه في المراسم الختامية لمسابقات قراءة القرآن الطلابية (12/12/1366).

* النبوة من وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره (تبيان 41)، ص 494:

اعلم أيها العزيز أنّ عظمة كلّ كلام وكلّ كتاب، إمّا بعظمة المتكلم والكاتب، وإمّا بعظمة المرسَل إليه وحامله، وإمّا بعظمة الحافظ والحارس له، وإمّا بعظمة شارحه وموضحه، وإمّا بعظمة وقت إرساله وكيفية ذلك. بعض هذه الأمور دخيلة بالذات والجوهر في العظمة وبعضها دخيل بالعرض والواسطة والبعض كاشف عن العظمة. وجميع هذه الأمور موجودة في الصحيفة النورانية بشكل أعلى وأوفى؛ بل هي من مختصّاته فالكتب الأخرى إمّا أنّها غير شريكة فيه أصلًا أو أنّها غير شريكة في كافة المراتب. أمّا عظمة المتكلّم به وصاحبه، فهو، العظيم المطلق الذي تكون كافّة أشكال العظمة المتصوّرة في الملك والملكوت والقوى النازلة من الغيب والشهادة، رشحة من تجلّيات عظمة فعل تلك الذات المقدسة، والحق تعالى لا يتجلّى لأحد بعظمته إلّا من خلال آلاف الحجب والسرادقات، حيث لا خبر عن البحر والبرّ ولا أثر للرطب واليابس. وفي الحديث: «إنّ لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كُشفت لأحرقت سبحات وجهه دونه». إنّ هذا الكتاب عند أهل المعرفة، صادرٌ من الحقّ بمبدئيّة كافّة الشؤون الذاتيّة والصفاتيّة والفعليّة وبجميع التجليّات الجماليّة والجلاليّة، حيث لا يكون لأيّ كتاب سماويّ هذه المرتبة والمنزلة.

أن نسمع هذه الكلمات وأن لا نُحصّل أي شيء من معارفها وحقائقها وأن لا نتدبّر فيها، فماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة هي أنّه لن يحصل بعد ذلك ﴿تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]؛ مع العلم أنّ هذه الآيات لو نزلت على جبل لَتصدّع، ومن البديهي وجود اختلاف بين نزولها على الجبل ونزولها علينا. ممّا لا شكّ فيه، إنّ كيفيّة نزولها على الجماد سيكون بشكل آخر، نحن ولأنّنا لا نتدبّر ولا نتواضع لهذه المعارف ولهذه المعاني، يكون أثرها ضعيفًا؛ وإلّا فلو تمكّنا من فهم معاني هذه المعارف وهذه الكلمات: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[2]، فسترتجف قلوبنا؛ وستُصاب بالحالة الذي يُصاب بها الجبل عند نزولها عليه. نحن لسنا أقلّ إحساسًا من الجبل. الجبل سيُصاب بتلك الحال. يحصل هذا الأمر ببركة التفكير؛ أي إنّ ساحة التفكير تنطلقُ إلى هذه المستويات[3].

---

(1) سورة الزمر، الآية 23.

(2) سورة الحشر، الآية 23.

(3) من كلامه في لقاء أئمة الجمعة في أنجاء البلاد (20/2/1378) (10/5/1999).

* صحيفة الإمام، ج 17، ص 433:

إنّ كيفية الوحي هي من الأمور التي ليس بوسع أحد أن يفهمها غير رسول الله ومن كانوا معه في خلواته، أو الذين استلهموا منه كيفية نزول الوحي. وبهذا فكلما أرادوا أن يعرفوا ذلك قاموا بتعريفه على قدر فهمنا نحن العوام. مثلما يعرف الله تبارك وتعالى نفسه للناس على قدر فهمهم من خلال ذكره للإبل والسماء والأرض والخلق إلى غير ذلك. وكل هذا لأن البيان قاصر عن أداء الموضوع حقه، وقد تطرق القرآن إلى ذلك بالقدر الذي بوسع البيان أداؤه.

* صحيفة الإمام، ج 18، ص 498:

نزل القرآن في شهر رمضان، إنّ القرآن نزل بعد أن عبر حجب النور فورد في شهر رمضان المبارك على قلب رسول الله المبارك وتنزّل من هناك حتّى بلغ مرحلة يذكر فيها باللسان.

مراتب النزول:

إنّ مفاهيمَ القرآن الكريم، مفاهيمٌ عالية جدًّا. أنزلها الله تعالى على قدر قلب الرسول؛ ثمّ يدركها [أدركها] قلب الرسول الذي هو جسم بشريّ؛ أو أن نقول إنّه يدركها بمقدار الفهم الإنسانيّ. إنّ ذلك الشيء الذي في عالمَي الجبروت واللاّهوت، غير ذاك الشيء الذي يأتي إلى عالمنا المادّي ويلقى إلى ذهن الإنسان؛ حيث يتنزّل هذا. ونحن بإمكاننا أيضًا تنزيل المسائل بهذه النسبة وإيصالها إلى الأذهان[1].

إنّ آيات القرآن التي تشتمل على الأحكام، قد نزلت بالتدريج؛ لم تنزل دفعة واحدة. وإذا كان النبيّ ﷺ قد اطّلع على الآيات بنفسه دفعة واحدة، إلّا أنّها نزلت بالتدريج ونزلت من جديد لأجل التبشير والإنذار، أي للحديث بها مع الناس وعرضها في المجتمع[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[3]؛ لقد نزل القرآن بتمامه، على الرسول، في ليلة القدر. من المناسب هنا أن نعلم أنّ ﴿أَنزَلْنَآ﴾[4] لا تعني

(1) من كلامه في لقاء عائلة الشهيد آية الله مطهري (13/2/1379) (2/5/2000).

* الإمام الخميني، تفسير سورة الحمد:
القرآن حقيقة، وهي حقيقة تدخل القلب. القرآن سرٌّ، وسر السرّ، وسر مستتر بسرّ، وسر مقنع بسرّ، ويجب أن يتنزل وينزل إلى الأسفل ويتنزل حتّى يصل إلى هذه المراتب النازلة، وحتّى وروده على قلب رسول الله كان تنزلًا، تنزل حتّى دخل القلب ومن هناك يجب أن يتنزّل أيضًا إلى أن يصل إلى حيث يفهمه الآخرون أيضًا.

(2) من كلام له في شرح مبادئ الحزب الجمهوري الإسلاميّ (29/3/1359) (19/6/1980).

(3) سورة القدر، الآية 1.

(4) سورة النساء، الآية 105.

الإنزال فقط، بل تشتمل الإنزال دفعة واحدة. لقد أنزلنا إليك القرآن في ليلة القدر؛ أي إنّا أنزلنا كافّة القرآن دفعة. وخلافًا لكلمة ﴿أَنزَلْنَهُ﴾، فإنّ ﴿نَزَّلْنَا﴾[1] تعني أنزلنا بالتدريج؛ ﴿وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا﴾[2]. والرسول كان يقرأ الآيات للناس على امتداد فترة زمنيّة بنحوٍ متناسب. طبعًا كان الوحي هو الذي يحدّد له هذا التناسب، ويشخّص له ما ينبغي أن يُحَدَّث به الناس الآن؛ و هذا هو الوحي الذي كان ينزل على امتداد الزمان[3].

لوازم إدراك القرآن:

طبعًا، الخطوة الأولى، التعرّف على ألفاظ وظواهر القرآن؛ إلّا أنّها خطوة لازمة. وإذا لم يخطُ الباحثون الدينيّون والقرآنيّون هذه الخطوة، أصبحت الخطوات اللاحقة صعبة وغير ممكنة. تشاهدون اليوم بعض الأشخاص يتحدّثون هنا وهناك حول الإسلام، ويدّعون أمورًا لا علاقة لها بالإسلام؛ لماذا؟ لأنّهم غير عارفين بمعارف نصوص القرآن والسنة.

ينبغي على الإنسان أن يتعرّف على نصوص القرآن والسنّة -أي الحديث النبوي ﷺ وحديث الأئمة عليهم السلام- ليتمكّن من فهم المعارف

(1) سورة البقرة، الآية 23.

(2) سورة الإسراء، الآية 106.

(3) سلسلة مباحث نهج البلاغة (5/6/1359).

* الإمام الخميني، تفسير سورة الحمد، ص 139: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ...﴾ (سورة الشعراء، الآيتان 193 و194)، فهو قد نزل أيضًا بيد الروح الأمين... يعني أنّ ما كان يرد على قلبه يجب أن يتنزل مراتب من هذا البطن إلى ذاك البطن ومن هذا الحد إلى ذاك حتّى يصل إلى الحد الذي يظهر على صورة ألفاظ. القرآن ليس ألفاظًا، ليس من مقولة السمع والبصر ولا من مقولة الألفاظ ولا الإعراض.

الدينيّة؛ وخاصّةً إذا أراد الغور في أعماقه. إذًا، هذه الخطوة، هي الخطوة الأولى والضروريّة في الوقت عينه.

طبعًا ينبغي بعد ذلك، التفكير، جمع معطيات واسعة، والاستفادة من تلك المعلومات لإدراك معارف القرآن والحديث. فكلّما ازدادت معلومات الإنسان، اتّضح فهمه للقرآن والحديث. والتجارب هكذا أيضًا. فكلّما كانت تجربة الإنسان في الحياة أكبر، ازدادت معرفته بالقرآن وتصبح مسائل القرآن أكثر وضوحًا بالنسبة إليه[1].

عندما يدخل القرآن إلى المجتمع، يتمّ تذوّق عذوبته. للقرآن اليوم[نحو] سيادة في بلدنا، الخطوة الأولى، تعلّم نصّ القرآن؛ وهذا يجب أن يزداد يومًا بعد يوم. إذا أردنا جميعنا تعلّمَ القرآن، يجب أن يكون هناك مجموعة في الصدارة - كما في باقي الأمور الأخرى ـ وهكذا إذا أردتم أن تصبح الرياضة عامّة، يجب أن يكون هناك مجموعة من الأبطال ماثلة أمام أعين الناس.

إذا أردتم أن يروّج القرآن في البيوت، وبين الأطفال، والكبار والنساء والرجال، يجب أن تحترموا الأبطال القرآنيّين. لهذا نحن نحترمهم [أي قارئي القرآن]. هؤلاء حاملو القرآن، هؤلاء أعزّاء، لسانهم عزيز، قلوبهم وأفئدتهم عزيزة؛ لأنّهم استأنسوا بالقرآن. أرواحنا فداءً للقرآن![2].

(1) من كلام له في لقاء قارئي القرآن (28/6/1380).
(2) من كلام له في المراسم الختامية للدورة الخامسة عشر لمسابقات القرآن (1/9/1977).

لو كان بيانُ القرآن غير فنيّ، فمن غير الممكن أن يتضمّن كافّة هذه الحقائق والمفاهيم العالية. وعليه، لن يكون بإمكان أيٍّ تفسير أو ترجمة قرآنيّة إفهام [تعليم] الحقائق القرآنيّة. يجب أن يكون الإنسان عارفًا باللغة وبكافّة الدقائق الفنيّة، وأن يتمكّن من العيش في الفضاء المعنوي للقرآن ليفهم ماذا يقول. لذلك يشير القرآن الكريم نفسه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[1]. يقرأ البعض القرآن فيهتدي؛ والبعض الأخر يَضِلُّ من خلال قراءته، بسبب عدم الإدراك والفهم الصحيحَين. فهؤلاء- لأنّهم لم يستطيعوا إحكام علاقة ورابطة بالقرآن- لم يتّصلوا به حتّى يصبحَ لديهم القدرة على إدراك المفاهيم. طبعًا بيان القرآن، وافٍ؛ إلّا أنّه يتطلّب شروطًا خاصّة ليكونَ الإنسان مخاطَبًا من القرآن بالمعنى الحقيقي للكلمة. والغرض أنّ سِعة البيان الفنيّ وقابليّته هي فقط القادرة على بيان الكثير من المفاهيم، ومنها المفاهيم الدينيّة المتعالية. وبواسطة الفنّ فقط يمكن درك هذه المفاهيم[2].

وإنّ التدبّر، في الأساس، ليس لأجل التفسير؛ بل هو لأجل فهم المراد. ويمكن للإنسان أن يمتلك نوعين من الفهم والتلقّي لأيّ كلام حكيم: الأوّل سطحي وبسيط، والثاني دقيق وعميق. هذا لا يصل في الأساس إلى مرحلة التفسير والتعبير. التدبّر المطلوب في القرآن، هو الابتعاد عن الرؤية السطحية فيه؛ وهذا يعني أنّه عندما تقرؤون كلّ آية قرآنيّة،

(1) سورة النحل، الآية 93.

(2) من كلام له في لقاء الفنانّين والسينمائيين (3/11/1373) (23/1/1995).

فيجب أن يكون بتأمّل وتعمّق وتتبّع للفهم. هذا هو التدبّر، وسترون أنّه ومن دون حاجة لأن [يعرض] الإنسان سلائقه على القرآن -أي التفسير بالرأي- أنّه سيفتح أبوابًا من المعرفة حسب مضمون الآية، مهما كان مضمونها.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1]. القرآن صادر من المقام الأعلى؛ من قمة معرفة عالم الوجود. لهذا، يجب على الإنسان أن يتأمّل؛ وحيث إنّ عمق هذه الآيات والمفاهيم كبير جدًا، فكلّ من يتأمّل، سيستفيد منه؛ ومن جملتهم الرسول. وإذا تأمّل النبيّ - طبعًا الرسول والأئمّة كانوا يقرؤون القرآن دائمًا بتأمّل وتدبّر- فسيستفيد من القرآن[2].

كأنّ بعض الآيات الإلهيّة الكريمة وطوال قرون متمادية، إمّا أنّها لم تُفَسّر بالمعنى الواقعي أو أنّها لم تفهم من قِبَلنا ومن قِبَل الأجيال البشريّة العاديّة. لقد أصبح لهذه الآيات معنىً في مرحلة ثورتنا وطوال عشرة أو

(1) سورة المزمل، الآية 4.

(2) في حوار مع مجموعة من النساء النخبة (18/7/1377).

* الإمام الخميني، شرح حديث جنود العقل والجهل، ص 105:

وبعد تحصيل الإخلاص إجمالًا يمكن التطرق إلى الحقيقة ـ كما في القرآن الشريف في السورة المباركة «الصافات» في الآيتين 159 و 160 حيث يقول تعالى: «سبحان الله عما يصفون إلّا عباد الله المخلصين» فإلّا العباد المخلصين الذين خلصوا من مراتب الشرك وازدواج الرؤية، وخلصوا من قذارات الطبيعة. فالله منزّه عما يصفه به سائر الناس، وإن كان المخلَصون (بفتح اللام) أرفع مقامًا من المخلِص (بكسر اللام) وسنبيّنه إن شاء الله في محله... فإذا أخلى قلبه من القذارات يتهيأ لذكر الله وقراءة كتابه، وما دامت القذارات وأوساخ عالم الطبيعة في قلبه فلن تتيسر له الاستفادة من الذكر والقرآن الشريف، كما أشير إلى ذلك في الكتاب الإلهي في السورة المباركة الواقعة الآيات 77 ـ 79، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

إحدى عشرة سنة مليئة بالأحداث والوقائع؛ وهذا هو الحقّ. فالأحداث والظروف الخاصّة هي التي يمكنها أن تقدّم معنىً صحيحًا للحقائق الإلهيّة التي هي في قالبِ الألفاظ. فعلى سبيل المثال، لا يمكن فهم الآيات التي نزلت في حرب أُحد، بشكل صحيح، في ظلّ حياة مرفّهة ملؤها الراحة. والآيات التي نزلت في غربة النبيّ الأكرم ﷺ وأصحاب ذاك العظيم في شُعَب أبي طالب أو في طريق مكة، لا يمكن إدراكها في ظلّ الظروف الحياتيّة الحاليّة، في المنزل والسوق وفي البيئة العائليّة التي يبرز فيها الأُنس؛ بل يحتاج ذلك إلى شيء آخر. يلزم وجود ظروف خاصّة بحيث يمكنها تقديم معنىً للكثير من الآيات؛ وإذا أردنا تقديم رؤية صحيحة، يجب أن نقول إنّ مجموعة الآيات الإلهيّة مع تفاسير (روايات) الأئمّة المعصومين عليهم السلام التي نزلت في أجواء الثورة ومرحلة البعثة والهجرة والجهاد والشهادة؛ التي هي مرحلة العمل والسعي والحركة، حيث يمكن فهمها أكثر من أيّ مرحلة تاريخيّة، أو أنّها قابلة للفهم[1].

(1) من كلام له في لقاء المحررين (26/6/1399).

* الإمام الخميني، طريق العشق، ص 27:

إنّ مجرّد قراءة القرآن ـ الذي هو رسالة المحبوب إلى المستمع المحجوب ـ له آثار مقبولة، إلّا أنّ التوجّه فيه، يهدي الإنسان إلى المقامات، الأعلى والأرقى. فما لم يفتح هذا القفل ولم يجري تحطيمه، فلن يكون هناك من نتيجة حتّى من التدبّر.

الصيانة من التحريف:

من الامتيازات الكبيرة لدين الإسلام المقدّس، أنّ الوحي الإلهي موجود إلى اليوم والى الأبد بين أيدي الراغبين بالتعلّم والهداية، وسيكون كذلك بالحروف والكلمات نفسها التي نزلت على القلب المقدّس للرسول العظيم الشأن؛ وهذا هو إنجاز الوعد الإلهي الذي جاء فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

المعراج:

في سورة «**النجم**» بحثٌ دقيق وظريف وجميل... ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ × وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[2]. هذا له علاقة بمسألة المعراج؛ كما في أكثر التفاسير. صحيح أنّ السورة تشير إلى التحوّل الداخلي للرسول وحالة تلقّي الوحي، إلّا أنّ مناسبة سورة النجم هي ما كان يوضّحه الرسول ﷺ حول قصّة سفره المعراجي الليلي، إذ كانوا لا يستمعون إليه. الآية في مقام بيان ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

(1) سورة الحجر، الآية 9. مدوّنة لقائد الثورة الإسلاميّة حول عدم تحريف القرآن (1/2/1371) (21/4/1992).

* صحيفة الإمام، ج 18، ص 423:
فمنذ البداية قاموا بتأويل غير صحيح لكلّ ما ورد في القرآن الكريم ممّا يخالف مصالحهم لأنّهم لا يستطيعون حذفه من القرآن فقد كانوا يجبرون رجال الدين التابعين لهم بتأويله تأويلا غير صحيح. ولكنّ القرآن بقي عند المسلمين ولم يتمكّنوا من تحريفه فهم لا يستطيعون ذلك وإلّا لفعلوا. وعندما أراد أحدهم حذف نص من القرآن سلّ أحد العرب سيفه قائلًا إنّنا نردّ عليك بالسيف. فقد منعوا تحريف القرآن الكريم وهو اليوم مثلما كان في عهد رسول الله ﷺ.

(2) سورة النجم، الآيتان 1 و 2.

يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[1]... ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[2]. لم يخطئ الرسول في مشاهداته القلبية؛ لقد شاهد حقًّا ولم يخطئ؛ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[3].

التصدّي للحكومة الإلهيّة والولاية المطلقة

مما لا شكّ فيه، إنّ ذلك اليوم الذي استنار فيه الكون المظلم في زمان ولادة الرسول ﷺ، من خلال النّور الإلهي، يجب أن يكون بداية تاريخ جديد للبشريّة. وقد أوضح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أحاديثه أنّ نورَ السعادة قد فُقِد من المجتمعات البشريّة على أثر حاكميّة القوانين والسلطات الظالمة؛

---

(1) سورة النجم، الآيات 3 و5.

(2) سورة النجم، الآيتان 10 و 11.

(3) سورة النجم، الآية 12.

* الإمام الخميني، تقريرات الأسفار:

وأمّا فيما يتعلق بمعراج حضرة الخاتم والذي كان معراجًا جسمانيًّا... فإنّ المقصود من جسمانيّة المعراج أنّ الروح المجرّدة التامّة لحضرة الخاتم طلبت السير في كافّة العوالم وقد هيّأ الله لها لوازم السفر. كان جسم حضرته مجذوبًا لروحه (لنفسه) الشريفة، وبتبعيّة ذلك [الجسم للروح] وبالانجذاب لها [الروح] حصل المعراج الجسماني. طبعًا، ليس المقصود من المعراج أن يشاهد الجسمانيّات. كما هو الحال في قضيّة رؤية حضرة إبراهيم ملكوت السموات والأرض؛ لأنّ عالم الأجسام والكرات الجسمانيّة ليست بتلك الأهميّة التي تدعو للمعراج؛ بل الرؤية والمعراج هي لأجل رؤية عالم المجردات والعقول. مثلما قد يظنّ البعض أنّ البراق هو خيل أعرج كالخيول التي نمتطيها وقد ركب عليه الرسول ﷺ وأنّ جبرائيل قد أخذ برسنه؛ لا [ليس كذلك]، البراق موجود مجرّد أيضًا وأمّا هذه التصوّرات الجسمانيّة والماديّة حول المعراج وتفاصيله فليست بصحيحة.

* الإمام الخميني، آداب الصلاة، ص 139:

إنّ الصلاة التي هي حقيقة معراج المؤمنين ومنبع معارف أصحاب العرفان وأرباب الإيقان هي نتيجة الكشف التامّ المحمدي ﷺ، وهو صلوات الله عليه وعلى آله بسلوكه الروحاني والجذبات الإلهيّة والجذوات الرحمانيّة قد وصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى وتبعًا للتجلّيات الذاتيّة والأسمائيّة والصفاتيّة والإلهامات الأنسيّة كشف حقيقة هذه الصلاة في الحضرة الغيبيّة الأحديّة، وفي الحقيقة هي هديّة لأمّته خير الأمم جاء بها من هذا السفر المعنوي الروحاني ومنّ عليهم بها وأغرقهم في بحر النعمة.

«**والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور**»[1]. لقد أظهر نور وجود الرسول ومنذ البداية، علامات حاكميّة الحقّ وأدلّة حضور البراهين الإلهيّة بين الناس[2].

المظلوميّة

عندما بدأت حركة الإسلام من مكّة، وفعل ذاك النشاط الإسلاميّ فعله المترافق مع مظلوميّة وثبات المؤمنين، كانت المدينة - يثرب في ذاك الوقت - المكان الأوّل الذي وصل الشعاع إليه. إنّ جهاد النبيّ ﷺ وأصحابه في مكّة، هو جهاد المظلوم وبشكل كبير. كانوا يذكرون اسم الله ويدعون إلى التوحيد والتعقّل، ويواجَهون بالضرب والتعذيب والقتل. تعرّضوا لأنواع وأشكال من الضغوطات. وفي النهاية حصلت قضيّة شعب أبي طالب، التي كانت من أصعب الضغوطات على الرسول والمسلمين؛ هذه أمور ليست خافية. طبعًا، لم يكن في تلك الأيام إمكانيّات إعلاميّة كاليوم؛ إلّا أنّ مكّة كانت المكان الذي تتوافد إليه القبائل العربيّة على اختلافها. كانوا يأتون إلى مكّة في أيّام خاصّة من الطائف ومن يثرب ومن البلاد الأخرى؛ وكانوا يَطّلعون على أحوال مكّة ويتعرّفون على حقيقة الإسلام. كان الكلام الحقّ يفعل فعله خاصّةً إذا ترافق مع المظلوميّة؛

(1) السيد الرضي، محمد بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، الطبعة الأولى، 1387هـ - 1967م، بيروت، الخطبة 89، ص122.

(2) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (20/3/1380) (10/6/2001).
صحيفة الإمام، ج 20، ص 452:
إنّ الحكومة التي تُعتبر فرعًا من الولاية المطلقة لرسول الله ﷺ هي إحدى الأحكام الأوّليّة للإسلام، ومقدّمة على كافّة الأحكام الفرعيّة حتّى الصلاة والصوم والحج.

حيث سيكون له وقعه في القلوب المستعدّة في النهاية؛ خاصّةً عندما كان مصادرًا ومتّبعًا من قبل أهل الحق، وهذا ما حدث. كان الرسول كالعمود المحكَم الذي يقف في الوسط والذي كان المسلمون يتّكئون عليه. كان المسلمون يتعرّضون للضرب والتعذيب، والخوف والاضطراب والحرمان والإخراج من المنزل؛ وكان الحرمان من الإرث لصالح أبناء الأعيان والغلمان والإماء يتعرّضون للضرب بأيدي الأرباب؛ ولكن كلّما تعرّض أحدهم للضغط، كانوا يلوذون بالنبيّ الذي كان وبتلك الاستقامة المعنويّة والروح الإلهيّة يمدّهم بالقوّة من ذاك النبع الفيّاض الذي استطاع أن يفيض على كافّة الخلق بالقوّة؛ كان هؤلاء الأشخاص القليلون – المسلمون الذين اتّبعوا الرسول– يستعينون بذلك، لذلك كانوا صامدين.

لقد فعل هذا الصمود فعله، وكان أوّل ظهورٍ لهذا الأثَر في [أهل] يثرب وانتهى الأمر بدعوتهم الرسول [للقدوم]. قالوا أقدِم إلى مدينتنا يثرب، لأنّ أهل مكّة رفضوكم؛ وقد وافق الرسول. طبعًا، وقّع معهم عهدًا وقال حيث إنّني قدمتُ إليكم، ينبغي عليكم الدفاع عنّي، ومؤازرتي –إذ كان يتوقّع الحرب – فأعلنوا عن استعدادهم لذلك. إذا أتيتَ يثربًا، فستكون أرواحنا فداءً لروحك؛ وعائلاتنا فداءً لك، وأموالنا فداء لك. كانوا في الغالب شبابًا. لقد أظهر جمعٌ من شباب يثرب، إيمانًا عميقًا وراسخًا؛ وكذلك فعل بعض كبارهم – أمثال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ – حيث دعوا الرسول وأخذوه إلى المدينة، وغيّروا اسمَ يثرب وحوّلوه إلى «**مدينة النبيّ**».

انتبهوا جيدًا، إنّ هذه المظلوميّة، والكلام الجديد، والوجوه النيّرة والحادثة الجديدة، قد أثّرت على الجميع وعلى حركتهم حتّى إنّ بعض اليهود ومن كان في المدينة تأثّروا بذلك مع العلم أنّ اليهود أصبحوا فيما بعد من أشدّ المعاندين- في البداية تأثّروا به يعني أنّ مجرّد مجيء الرسول ﷺ بتلك الحالة- حتّى إنّ قريش لم تترك المسلمين عند الرحيل بل كانت توجّه الضربات إليهم وتتعقّبهم وتحاصر البعض منهم و... وقد ساعد ذلك غالبًا في مقبوليّة دخول الرسول إلى المدينة[1].

استجماع الصفات العالية

إنّ نبيّ الإسلام المكرَّم، إنسانٌ فوق المألوف [استثنائي] بلحاظ الشخصيّة الإنسانيّة والبشريّة، وهو من الطراز الأوّل الذي لا نظير له؛ جَمَعَ الخصال الأخلاقيّة الرفيعة في شخصيّة إنسانيّة عزيزة، مظهرًا الكثير من الصبر والتحمّل وتقبّل الآلام والمصاعب؛ لقد اجتمعت فيه كافّة الخصوصيّات الإيجابيّة للإنسان العظيم[2].

خاتميّة النبوّة

إنّ يوم المبعث هو عيدٌ للجميع وليس للمسلمين فقط. إنّ ولادة كلّ نبيّ وظهور كلّ بعثة، عيدٌ لجميع البشريّة. عندما كان يأتي أنبياء الله تعالى، كان كلّ واحدٍ منهم يسوق قوافل البشريّة نحو الكمال والعلم والأخلاق

(1) من كلام له في اجتماع تعبئة اللواء 10 سيد الشهداء (26/7/1377) (18/10/1998).
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

والعدل وكانوا يقرّبونهم خطوة نحو مراحل الكمال الإنساني. إنّ كافّة أشكال التعقّل البشري طوال التاريخ، يعود إلى تعاليم الأنبياء. إنّ الخلق الإنساني [الأخلاق الإنسانيّة] الذي يؤمّن القدرة على الاستمرار بالحياة للبشر والفضائل الأخلاقيّة، جميعها من تعاليم الأنبياء. لقد هيّأ الأنبياء للبشر الحياة وقادوهم نحو ساحة التطوّر والتكامل؛ وإنّ نبيّ الإسلام المكرّم، هو خاتم الأنبياء الذي جاء للبشريّة بالكلام النهائيّ الذي لا ينتهي[1].

(1) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (11/6/1384) (2/9/2005).

آثار وبركات الرسول ﷺ

تزلزل أعلام الشرك وعبادة الأصنام

إنّ ما جاء في الآثار والتواريخ حول تصدّع شرفات بلاط [قباب] كسرى وتزلزل أعلام عبادة الأصنام والشرك في كافّة أنحاء الدنيا - فيما إذا كانت هذه الآثار قطعية - لعلّه يكون ظهورًا للقدرة الإلهيّة، للإعلان الرمزي عن حضور هذه القوّة التي ستقضي على جذور الظلم والفساد وتطهّر العلم من الخرافة وتخلّص الحضارة من الفساد[1].

لقد أرسل الله تعالى إلى عالم الوجود الذخيرة الإلهيّة الكبرى أي الوجود المقدّس للرسول الأكرم ﷺ، فكان منطلقًا إلى مرحلة حسّاسة بداية مرحلة أساسيّة في مصير البشريّة. ولقد جاء في شأن آيات (علامات) ولادة الرسول أنّه عندما ولد ذاك العظيم، تهدّمت شرفات إيوان كسرى، وانطفأت نيران معبد آذركشسب الذي بقي مشتعلًا مدة قرون وجَفّت بحيرة ساوة التي كان يعتبرها بعض الناس في ذاك الزمان مقدّسة، وهُدِّمت الأصنام التي كانت معلّقة حول الكعبة[2].

---

(1) من كلام له في لقاء مختلف أبناء الشعب (14/6/1372) (5/9/1993).

(2) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (9/3/1381) (30/5/2002).

إنّ هذه الإشارات الرمزيّة والظاهريّة بالكامل، تشير إلى اتّجاه الإرادة والسنّة الإلهيّتين في إسباغ خلعة الوجود على هذا الموجود العظيم، وهذه الشخصيّة الرفيعة والفريدة. معنى هذه الأحداث الرمزيّة هو أنّه مع هذا القدوم المبارك، هو حتميّة طيّ بساط الذلّ عن البشريّة، سواء كان ذلك [الذلّ] من خلال حاكميّة الجبّارين والحكّام المستبدّين - من قبيل ما كان يجري آنذاك في إيران وروما القديمة - أو كان وليد عبادة غير الله. وعلى يدي هذا المولود المبارك، لا بدّ أن تتحرّر البشريّة من قيود الظلم الذي فرضه حكّام الجور على المظلومين من البشر طوال التاريخ؛ ومن قيود الخرافات والعقائد الباطلة والمذلّة التي جعلت الإنسان خاضعًا ذليلًا أمام الموجودات الأدنى منه أو في مقابل أفراد البشر الآخرين. لذلك جاء في الآية القرآنيّة في باب بعثة النبيّ الأكرم؛ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾[1].

إنّ عبارة ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ليست خاضعة لحدّ [لتحديد] زماني؛ بل تشير إلى الوُجهة. يجب أن تتحرّك البشريّة بعد هذه الحادثة نحو الحريّة المعنوية والاجتماعيّة والحقيقيّة والعقلانيّة. لقد بدأ هذا العمل، وإنّ استمراره يكون بأيدينا نحن البشر. وهذه سُنّة أخرى في عالم الخلق[2].

(1) سورة الفتح، الآية 28.

(2) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (9/3/1381) (30/5/2002).

نزول الرحمة الإلهيّة على البشر

إنّ هذه الولادة العظيمة، هي ولادة أرقى نماذج الرحمة الإلهيّة للبشريّة؛ لأنّ وجود ذاك العظيم وإرسال هذا النبيّ الكبير، هو رحمة الحقّ تعالى على العباد. وينبغي على البشريّة إدراك أنّ هذه الرحمة، هي رحمة غير منقطعة؛ بل هي رحمة مستمرّة[1].

حركة المسلمين نحو التكامل

ليس بمقدور أيّ إنسان بيان أبعاد شخصيّة النبيّ الأكرم ﷺ بنحو كامل وتقديم صورة قريبة من الواقع عن شخصيّة ذاك العظيم... إنّ ما نعرفه ونعلمه عن من اختاره واصطفاه إلهُ العالم وطليعة الأنبياء على امتداد التاريخ، هو ظلٌّ وشبحٌ للوجود المعنوي والباطني والحقيقي لذاك العظيم؛ إلّا أنّ هذا المقدار من المعرفة يكفي المسلمين لضمان استمرار حركتهم نحو الكمال ولصيرورة قمّة الإنسانيّة وأوجّ التكامل البشري أمامهم ويشجّعهم على التحرّك نحو الوحدة الإسلاميّة والاجتماع حول ذاك المحور. بناءً على ما تقدّم، نوصي كافّة المسلمين في العالم، بزيادة العمل حول أبعاد شخصيّة الرسول وحياته وسيرته وأخلاقه والتعاليم المأثورة والمنصوصة عن ذاك العظيم[2].

---

(1) من كلام له في لقاء الضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلاميّة (13/5/1375 - 3/8/1996).

(2) من كلام له في لقاء الضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلاميّة (24/7/1368 - 16/10/1989).

الميل إلى الإسلام

... هناك الكثير من البشر في العالم، ممّن إذا ما عرفوا رسول الإسلام بالقدر الذي عرفه المسلمون، أو حتّى أقلّ من ذلك - أي إذا ما تجلّى من تلك الشخصيّة النورانيّة في قلوبهم - فسيكون ذلك ضامنًا لعقيدتهم والتزامهم بالإسلام. يجب أن نعمل على هذه المسألة[1].

وحدة المسلمين

لقد كان وجود نبيّ الإسلام الأكرم ﷺ، أكبر عامل للوحدة في كافّة العصور الإسلاميّة واليوم يمكنه أن يكون كذلك؛ لأنّ عقيدة آحاد المسلمين بذاك الوجود الأقدس العظيم، توأم للعاطفة والعشق، لذلك كان ذاك العظيم، مركز ومحور العواطف والعقائد عند كافّة المسلمين. وهذه المحوريّة، من إحدى موجبات استئناس قلوب المسلمين وتقريب الفرق الإسلاميّة بعضها من بعض[2].

(1) من كلام له في لقاء الضيوف المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلاميّة (24/7/1368) (16/10/1989).

(2) م.ن.

أخلاق الرسول ﷺ وسيرته

يمكننا باختصار تقسيم أخلاق الرسول إلى «**الأخلاق الشخصيّة**» و«**الأخلاق الحكوميّة**»: أي أخلاقه باعتباره إنسانًا وخصوصيّاته وأخلاقه وسلوكه باعتباره حاكمًا. طبعًا، هذه الأمور هي جزءٌ يسير ممّا هو موجود في شخصيّة ذاك العظيم؛ حيث إنّ وجوده يضمّ أضعاف هذه الخصوصيّات البارزة والجميلة التي سأشير إلى بعضها. كان ذاك العظيم أمينًا، وصادقًا، وصبورًا، ومتواضعًا وشهمًا ومدافعًا عن المظلومين في كافّة الحالات. كان سلوكه سليمًا. وكان تعامله مع النّاس يقوم على أساس الصدق والصفاء والصحّة. كان حَسَنَ الكلام، ولم يكن حديثه مؤذيًا. كان طاهرًا. كان في مرحلة شبابه معروفًا بالعفّة والحياء والطهارة في تلك البيئة الفاسدة أخلاقيًا في الجزيرة العربيّة قبل الإسلام وكان الجميع يقبلونه ولم يكن متلوّثًا بأيّ شيء. كان من أصحاب النظافة: كان لباسه نظيفًا، كان وجهه نظيفًا، وكان سلوكه سلوكًا ممزوجًا بالنظافة. كان شجاعًا ولم تتمكّن أيّ جبهة من الأعداء مهما كانت عظيمة أن تفتّ من عضده أو تخيفه. كان صريحًا، يوضّح كلامه انطلاقًا من الصراحة

والصدق. كان في حياته حكيمًا وزاهدًا كما كان رؤوفًا متسامحًا كريمًا. وكان يعطي المال ولا ينتقم، كان سموحًا وعَفُوًّا.

... كان كثير الحنان والتسامح والتواضع وكان من أصحاب العبادة. وكانت هذه الخصوصيّات موجودة في شخصيّته العظيمة في كافّة جوانب حياته، منذ مرحلة الشباب إلى الوفاة طيلة ثلاث وستّين سنة[1].

في العلاقة مع اللّه

العبوديّة للّه:

كان الرسول وما تمتّع به من مقام وشأن وعظمة، غير غافل عن عبادته؛ كان يبكي منتصف الليل ويدعو ويستغفر. في إحدى الليالي تفقّدت أمّ سلمة الرسول فلم تجده؛ ذهبت تبحث عنه لتجده مشغولًا بالدعاء حيث كانت الدموع تنهمر من عينيه وهو يستغفر ويقول: «**اللهم ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[2]. بكت أمّ سلمة فتوجّه الرسول إليها وسألها عن سبب وجودها، فتوجّهت إليه قائلة: يا رسول اللّه، أنت عزيزٌ عند اللّه وذنوبك مغفورة. ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3]. فلماذا تبكي ولماذا تردّد: اللهم ولا تكلني إلى نفسي؟ قال: «**وما يؤمنني**»؟[4]؛ مَن الذي يحفظني إذا غفلت عن اللّه؟ هذا درسٌ لنا. إنّ الدرس الكبير الذي

(1) خطبة صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).
(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 16، الباب 9، مكارم أخلاقه وسيرته وسنّته.
(3) سورة الفتح، الآية 2.
(4) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 16، الباب 9، مكارم أخلاقه وسيرته وسنّته.

علّمنا إيّاه الرسول هو عدم نسيان الله، والاعتماد على الله، والطلب منه في يوم العزة، وفي يوم الذلّة، وفي اليوم الصعب وفي يوم الراحة وفي اليوم الذي يحاصر فيه العدوّ الإنسان، وفي اليوم الذي يُفْرَض فيه العدوّ -بكلّ عظمته- على الإنسان وعلى وجوده[1].

تتجلّى قيمة والد فاطمة عند الله في العبوديّة مع الإشارة إلى أنّ فاطمة هي مبدأ ومنبع فضائل كافّة المعصومين، حيث إنّها وأمير المؤمنين قطراتٌ من بحر وجود الرسول. «**أشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله**»؛ في البداية كانت عبوديّته ثمّ رسالته؛ وفي الأساس [إنّما] أُعطي مقام الرسالة له - وهو مقامٌ شامخ - بسبب العبوديّة[2].

العبادة والاستغفار:

جاء حول الصلوات المقرّرة في المفاتيح: «**الذي كان رسول الله ﷺ يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيامه بخوعًا لك في إكرامه وإعظامه إلى محلّ حِمامه**»[3]؛ كان الرسول يعظّم شهر شعبان حتّى آخر حياته، ويخضع أمامه وقد عوّد نفسه على الصيام والقيام في شهر شعبان. جاء في العبارات التي تلت المقدمة: «**اللهم فأعِنّا على الاستنان بسنّته فيه**»[4].

---

(1) خطبتي صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).

(2) من كلام له في لقاء منشدي أهل البيت (5/5/1384) (27/7/2005).

(3) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، 1414هـ.ق، المطبعة مهر ـ قم ـ إيران، ج 10، ص 492، باب استجابة صوم شعبان.

(4) م.ن.

كانت عبادته، عبادة مَن تتورّم قدماه من الوقوف في المحراب. كان يقضي جزءًا طويلًا من الليل صاحيًا ومشغولًا بالعبادة والتضرّع والبكاء والاستغفار والدعاء. كان يناجي الله ويستغفره. وفي غير شهر رمضان كان يصوم يومًا من كلّ يومين في شهري شعبان ورجب وفي باقي أيام العام... رغم ذلك الطقس الحار. وكان الأصحاب يتوجّهون إليه: لماذا كلّ هذا الدعاء والعبادة والاستغفار وأنتَ لا ذنب لك؛ حيث جاء في سورة الفتح: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]؟! وكان يجيب: «**أفلا أكونُ عبدًا شكورًا**»[2]؛ أفلا أكون عبدًا شكورًا وقد أنعم الله عليَّ كلّ هذه النِّعم؟[3]

ذكر الله دائمًا:

كان الرسول الأكرم ﷺ مع تلك القوّة الملكوتيّة، دائم الذكر والتوجّه والتوسّل إلى الله تعالى[4].

نُقِل عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال: «**ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، تدعون ربّكم بالليل والنهار فإنّ سلاح المؤمن الدعاء**»[5]. لذلك كان رسول الإسلام المكرَّم يقوم بكافّة الأعمال الضروريّة في ساحة الحرب؛ كان ينظِّم الجنود ويضع كلّ منهم في مكانه ويقدّم لهم الإمكانيّات

(1) سورة الفتح، الآية 2.
(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 6، ص 191.
(3) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).
(4) من كلام له في لقاء أهالي قم (19/10/1371) (9/1/1993).
(5) الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، ج 2، ص 468، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري، 1365هـ.ش.، ط2.

اللازمة ويوصيهم بما يجب، ويشرف عليهم إشراف القائد على جنوده؛ ولكنّه كان في الوقت عينه، يركع على الأرض ويرفع يديه للدعاء والتضرّع ومناجاة الله تعالى ليطلبَ منه ما يريد[1].

الاعتماد على الله:

كان رسولنا الكريم... لا يأخذ بعين الاعتبار عندما يتضرّع إلى الله تعالى ويطلب العون منه في الأوقات الصعبة، أنّ ذلك قد يترك أثرًا في أذهان المخاطَبين والناظرين [والحاظرين]، فيفهموا عجزه. بل كان يشير بصراحة: أنا عاجزٌ ولا يمكنني الإتيان بعملٍ دون مساعدة من الله تعالى. أثناء معركة الأحزاب، عندما حاصر الأعداء المدينة والرسول والمؤمنين، من جهات عدّة، حيث كانوا يريدون القضاء بالكامل على الإسلام والقرآن والرسالة الجديدة، كان الرسول في تلك الحالة ينظّم الجنود ويتّخذ تدابير دقيقة، ويحرّض الناس على المقاومة، وكان بالإضافة إلى ذلك يجثو على ركبتيه، وقد تكرّر هذا المشهد وذكرته كتب السيرة، حيث كان يرفع يديه يتضرّع ويبكي ويناجي الله ويطلب العون والنصر والتوفيق منه تعالى[2].

عدم الخوف من أحد غير الله:

كان الرسول ﷺ ذاكرًا لله في كافّة الحالات وكان يطلب المدد منه في جميع الساحات، كان يطلب من الله ولم يخَف أحدًا سواه. ويكمن السرّ

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (29/7/1384) (21/10/2005).
(2) من كلام له في لقاء ممثلي المجلس (29/3/1379) (18/6/2000).

الأساسي لعبوديّة الرسول أمام الله تعالى في أنّه لم يحسب أيّ حساب لأيّ قوّة في مقابل الله، ولم تكن علاقته به علاقة واهم، ولم يقطع سبيل الله بسبب أهواء الآخرين. يجب أن يتحوّل مجتمعنا إلى مجتمعٍ إسلامي من خلال الدرس الذي يتعلّمه من الأخلاق النبويّة[1].

أخلاقه في العلاقة مع نفسه

الانضباط والترتيب:

كان الرسول ومنذ مرحلة الطفولة موجودًا نظيفًا. وخلافًا لما كان عليه أطفال مكّة وأطفال القبائل العربيّة، كان نظيفًا ومرتبًا. كان في مرحلة صباه يسرّح شعر رأسه وبعد ذلك، عندما أصبح رجلا[2] [صار يسرّح] شعر رأسه ولحيته ـ في سنّ الخمسين والستّين ـ كان مقيّدًا بالنظافة بشكلٍ كامل. كانت ذؤابتاه النظيفتان تصلان إلى أذنيه؛ وكذلك محاسنه الجميلة، كانت نظيفة ومعطّرة. قرأت في رواية أنّه كان في بيته دنّ [جرن] ماء ينظر فيه ليرى وجهه ـ حيث لم تكن المرآة رائجة في ذاك الزمان. «**كان يُسوّي عمامته ولحيته إذا أراد أن يخرج إلى أصحابه**»[3]، وكان يعطّر نفسه بالعطر. وكان في رحلاته يصطحب معه المشط والعطر، على الرغم من حياة الزهد التي كان يعيشها –وسأشير إلى أنّ حياة الرسول كانت حياةً زاهدة – وكان يصطحب معه الكحل، يكحل به عينيه حيث كان الرجال في

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).

(2) اي عندما بلغ مرحلة عز الشباب والرجولة.

(3) هناك شبيه لهذا المطلب في بحار الأنوار، ج76، ص 307؛ «فوقف يسويّ لحيته وينظر إليها».

ذاك العصر يكحّلون أعينهم. وكان يستعمل المسواك عدّة مرات في اليوم وكان يأمر الآخرين بالنظافة والمسواك والظاهر المرتّب[1].

أولى الإسلام أهميّة لمسألة الجمال. وقد سمعنا كثيرًا: «**إن الله جميلٌ ويحبّ الجمال**»[2]. وقد ذكرت كتبنا الحديثة العديد من الروايات حول اهتمام الرسول برأسه ووضعه. وفي كتاب «**النكاح**» بحثٌ مفصّل حول ضرورة اهتمام الرجل والمرأة بنفسيهما. يتصوّر البعض أنّه ينبغي على الرجال مثلًا تقصير شعر رأسهم، كلا، في الشرع يُستحبّ للشباب ترك شعر الرأس[بحسب عرف المجتمع]. جاء في الرواية: «**الشعر الحَسَن من كرامة الله فأكرموه**»[3]. وفي الرواية على سبيل المثال أنّ الرسول ﷺ عندما كان يريد الخروج إلى أصحابه، كان ينظر إلى وعاء فيه ماء يرتّب وضعه ورأسه. لم يكن في ذاك الزمان مرآة بالشكل الموجود اليوم ولم تكن متوفّرة بكثرة؛ وكان مجتمع المدينة مجتمعًا فقيرًا. كان للرسول وعاء فيه ماء، حيث كان يستعمله كمرآة ينظر فيه عندما يريد الخروج إلى أصحابه. ويشير هذا الأمر إلى أنّ الوضع المرتب، اللباس الجيّد والميل نحو الجمال، كلّ ذلك مطلوب في شرع الإسلام. أمّا الشيء السيّئ والمضرّ فهو أن تصبح هذه الأمور وسيلة للفتنة والفساد والتبرّج[4].

---

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

(2) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 62، ص 125.

(3) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 2، ص 129، الباب 78، باب استحباب إكرام الشعر (قريب من هذه المضامين).

(4) حوار مع الشباب (7/2/1377) (27/4/1998).

الوقار والهيبة:

مع أنّ الرسول كان ذو هيبة إلهيّة وطبيعيّة وكان الناس يرتبكون في حضوره، فإنّه كان يلاطف الناس وكان حَسَنَ الأخلاق معهم[1].

النظافة والطهارة:

كان لباسه بسيطًا. وكان يتناول أيّ طعام يضعونه أمامه؛ لم يكن يطلب طعامًا خاصًا؛ ولم يكن يرفض أيَّ طعامٍ باعتباره غير مرغوب. كانت هذه الخُلُقيّات منقطعة النظير في تاريخ البشريّة. وكان حين تعامله مع الآخرين، في كمال النظافة والطهارة الظاهريّة والمعنويّة حتّى قال عبد الله بن عمر[2]: «**ما رأيت أحدًا أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوضأ من رسول الله**»[3]، [4].

بساطة اللباس:

رُوي أنّه كان في الغرفة القديمة والمظلمة للرسول، مرآةٌ طبيعيّة ووعاءٌ من ماء حيث: «**كان يسويّ عمامته ولحيته إذا أراد أن يخرج إلى أصحابه**»؛ كان الرسول يهتمّ بترتيب عمامته ومشط لحيته. لماذا كان الرسول يرتّب

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).

(2) «عبد الله بن عمر» الصحابي المعروف ابن الخليفة الثاني. ولد في مكّة قبل الهجرة دخل الإسلام مع والده وهاجر قبله إلى المدينة. في الخامسة عشر من عمره كان من جملة الذين شاركوا في غزوة الخندق. حاول البعض بيعته للخلافة بعد مقتل عثمان، إلا أنه رفض ذلك ورفض أيضًا تولي منصب القضاء. نقلت كتب الصحاح 2630 حديثًا عنه. توفي عام 73هـ.ق عن عمر 83 عامًا وهو آخر شخص من الصحابة الذين توفوا في مكة.

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 16، ص 231.

(4) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).

عمامته؟ ولماذا كان يرتّب لحيته؟ لماذا أكّدت الروايات العديدة وأوصت بترتيب شعر الرأس واللحية واستعمال المشط؟ ما هو السبب في ذلك؟ رُويَ أنّ الرسول كان يرتّب العمامة ويترك جزءًا منها يخرج إلى ما تحت الحنك. ما هي أهميّة ذلك؟ الأهميّة في ذلك أنّه أراد أن يعلّمنا درسًا في الانضباط والترتيب[1]. لم يقولوا لكم لا تلبسوا اللباس الفاخر - في الأساس ليس من الضروري ارتداء اللباس الفاخر - بل العكس من ذلك، الأفضل ارتداء اللباس المتواضع والبسيط؛ إلّا أنّ هذا اللباس المتواضع يجب أن يكون نظيفًا لا تملؤه الأوساخ، يجب أن يكون منظّمًا ومرتبًا، أزراره غير منتزَعَة وغير مفتوحة. هذا هو المقصود من الانضباط والترتيب الظاهري[2].

يقع البعض في الخطأ عندما يتصوّر أنّ الظاهر المرتّب توأمٌ للسلوك الاستعلائي [الأرستقراطي] وتوأمٌ للإسراف؛ كلا، [إذ] يمكن للإنسان أن يكون شخصًا مرتّبًا نظيفًا [حتى] بهذا اللباس القديم والمرقّع [المتواضع]. فقد كان لباس الرسول[3] قديمًا وموصولًا [متواضعًا]؛ إلّا أنّ لباسه ووجهه كانا نظيفين. هذه الأمور مؤثّرة وبشكل كبير على مستوى التعاطي مع الآخرين، وفي السلوك وفي الوضع الخارجي والصحي. إنّ هذه الأمور التي تبدو في الظاهر صغيرة هي في الباطن كثيرة التأثير[4].

---

(1) من كلام له في لقاء مسؤولي التعبئة (4/2/1373) (14/5/1994).

(2) م.ن.

(3) عن الغزالي في الأحياء: كان ﷺ يلبس من الثياب ما وُجد، من إزار أو رداء أو قميص أو جُبّة أو غير ذلك. وكانت تعجبه الثياب الخضر. وكان أكثر ثيابه البياض. (العلامة الطباطبائي، محمد حسين، سنن النبيّ، كتاب فروشي إسلاميه، طهران، الطبعة الخامسة 1370هـ.ش.، ص 120).

(4) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

الثبات والاستقامة:

لم تغيّره السلطة، ولم تغيّره الثروة الوطنيّة؛ لم يختلف سلوكه في مرحلة الصعوبات عنه في المرحلة التي زالت فيها الصعوبات[1].

في العلاقة مع الناس

الحياء والعفة:

كان ذلك العظيم – في مرحلة شبابه– في تلك البيئة الفاسدة للجزيرة العربية قبل الإسلام، معروفًا بالحياء والعفّة، وكان الجميع يقرّ بطهارته وعدم تلوّثه. كان كثير الأخلاق، ولم يمدَّ رجليه في حضور أحد، ولم يهن أحدًا على الإطلاق. كان شديد الحياء. عندما يلومه شخص على شيء كان يعتبره على حقّ – وفي التاريخ نماذج من ذلك – كان يُخفض رأسه إلى الأرض من شدّة الخجل والحياء[2].

العفو والتسامح:

ورد أنّ أحد الأعراب الذين اعتادوا العيش في الصحراء والذين لا معرفة لديهم عن الحضارة والمدنيّة وآداب المعاشرة والأخلاق المتداولة في الحياة، قَدِمَ المدينة مع ما يمتلك من خشونةٍ وطبعٍ صحراوي ودخل على رسول الله. كان الرسول في ذاك الوقت بين أصحابه؛ إمّا في المسجد أو في الطريق. طلب هذا الأعرابي من الرسول شيئًا، فساعده وأعطاه

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

بعض المال والطعام واللباس على سبيل المثال. وبعد هذا العطاء سأله: هل أنت راضٍ؟ وهل أحسنتُ إليك؟ وهل هذا مقبول؟ فأجاب انطلاقًا من تلك الخشونة الصحراويّة والصراحة وعدم المجاملة اللّتين يمتاز بهما هؤلاء الأشخاص وإحساسًا منه بأنّ ما أعطي له كان قليلًا وقال: أنت لم تنجز لي أيّ عمل، ولم تظهر أدنى محبّة، وما قدّمته ليس شيئًا يُذكر.

... كان لهذا التعاطي الخشن مع الرسول، وقعٌ مؤلمٌ وثقيلٌ في قلوب الأصحاب. غضب الجميع. نهض بعض الأصحاب وهم في حالة غضب، وأرادوا توبيخ الأعرابي والقيام بردّة فعل؛ إلّا أنّ الرسول رفض ذلك وطلب منهم الكفّ عنه وأنّه يمكنه بنفسه حلّ المسألة معه. ترك الرسول الأصحاب واصطحب الأعرابيّ إلى منزله - والواضح أنّ الرسول كان في ذاك الموقع لا يمتلك الشيء الكثير؛ وإلّا كان بإمكانه أن يقدّم له أكثر من ذلك - وأعطاه أمورًا أخرى كاللباس والطعام أو المال. ثمّ قال له: هل رضيت الآن؟ قال: نعم، وقد ظهر على هذا الرجل الرضا والخجل ممّا شاهده من إحسان وحُلمٍ عند الرسول.

... توجّه إليه الرسول قائلًا: أنت تحدّثتَ بكلام قبل قليل أمام أصحابي، جعل قلوبهم حاقدةً عليك وكارهةً لك. هل ترغب أن نذهب إليهم وتحدّثهم بما قلته لي وتبيّن رضاك؟. قال: نعم، أنا جاهزٌ لذلك. ثمّ قام الرسول باصطحاب الأعرابي ليل ذاك اليوم أو في اليوم التالي إلى الأصحاب وخاطبهم مبيّنًا لهم أنّ هذا الأخ الأعرابي راضٍ عنّا، وسأله: إن كنتَ راضٍ، فتحدّث. وهنا تحدّث الأعرابي، مبيّنًا رضاه وسروره وشكره

للرسول الأكرم؛ لما أظهره من محبّة له. تحدّث بذلك وذهب.

... رحل الأعرابيّ، فتوجّه الرسول إلى أصحابه مبيّنًا لهم أن مَثَل هذا الأعرابي، كالناقة التي انفصلت عن القطيع وأخذت تركض في الصحراء؛ وأوضح لهم أنّكم أيّها الأصحاب تهجمون على الناقة لتمسكوها وتعيدوها إليّ، وتتوجّهون إليها من كل جانب، وهذا يؤدّي إلى زيادة خوفها وازدياد خشونتها فيصبح الإمساك بها صعبًا. وأنا لم أسمح لكم بزيادة خوفه وابتعاده عنّا. بل توجّهت إليه بمحبّة وحنان وأعدته إلى جمعنا. هذه هي طريقة الرسول[1].

الأمانة:

بلغت أمانته إلى حدّ أنّه كان يُطلق عليه في الجاهليّة اسم «**الأمين**» وكان الناس يأتون إليه بأماناتهم المهمّة جدًا، كانوا يودعونها عنده ويطمئنّون أنّها ستعود إليهم سليمة. وقد استمرّ هذا الأمر بعد بداية الدعوة الإسلاميّة واشتعال نيران العداء مع قريش، في هذه الأجواء، كان الأعداء إذا رغبوا وضع شيء أمانةً عند شخص، كانوا يأتون إلى الرسول! لذلك سمعتم أنّ الرسول عندما هاجر إلى المدينة، ترك فيها عليًّا ليعيد الأمانات إلى أصحابها. يتّضح من خلال ذلك أنّ هناك بعض الأمانات كانت عنده في ذاك الوقت. ولم تكن أماناتٌ للمسلمين، بل أماناتٌ للكفّار والأشخاص المُعادين له[2].

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

المحبّة:

كان سلوكه مع الناس حَسَنًا، كان بشوشًا بين الناس. تظهر همومه وأحزانه وآلامه عندما يكون وحيدًا، ولا يبديها أمام الناس، بل كان بينهم بشوشًا. كان يسلّم على الجميع. وإذا آذاه شخص كان يظهر ذلك على وجهه إلا أنّ لسانه لا يفصح عن ذلك. كان لا يسمح بالتعرّض لشخص في حضوره أو توجيه إهانة إليه. كان يلاطف الأطفال؛ ويعطف على النساء؛ وكان حَسَنَ التصرّف مع الضعفاء، كان يمزح مع أصحابه ويشاركهم مسابقة الفروسيّة[1].

الصدق والصلاح:

كان تعامله مع الناس على أساس الصدق والصفاء والصداقة[2].

ما هو الشيء الذي كان يحكم الحركة العظيمة للرسول؟ التوحيد؛ فإلى جانب تلك العبادة والدعاء والبكاء وسط الليل، كانت مثل هذه المظاهر: مظهر العلم؛ مظهر الشجاعة؛ مظهر الجهاد؛ مظهر السياسة؛ فلو طالعتم التاريخ ستجدون نماذج من ذلك، في ذاك الزمان القصير من حياة الرسول. إنّ السنوات العشر من حياة الرسول، كانت حياةً عجيبة؛ وهي حقيقةً، مجموعة متراكمة لا يعلمها الكثيرون مع الأسف. إنّ الصدق، كان علامة تلك الرؤية التوحيديّة؛ حافظوا دائمًا على هذا الصدق في العمل

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).
(2) م.ن.

والقول... لا يمكن أن يكون لأيّ طريقة وأيّ أسلوب سياسي وأيّ مناورة سياسيّة تلك الجاذبيّة الموجودة في الصدق حيث تجذب القلوب إليها. في الحقيقة كان يمتلك هذه الخاصيّة[1].

الإنفاق:

قدّموا إلى الرسول في تلك الأيّام، شاةً فذبحها. اجتمع الفقراء والمستحقّون للحصول على نصيبهم من اللحم. وكان الرسول يُقَطِّع اللحم من الشاة التي ذبحها لنفسه ويوزّعه عليهم، فبقي منها الكتف فقط. وحيث إنّه لم يبقى شخص لم يحصل على اللحم، أخذ الكتف إلى المنزل ليطبخ ويُعَدّ للأكل. قالت إحدى زوجات الرسول: يا رسول الله، وُزِّعت الشاة بأكملها ولم يبق سوى هذا الكتف. عندها قال الرسول، لا، لقد بقيت بأكملها إلّا أنّ الكتف هو الذي سنفقده؛ لأنّنا سنتناوله ولن يبقى منه شيء، أمّا الذي أنفقناه فهو الذي يبقى لنا[2].

المعاملة الخالية من التكبّر:

كان هذا سلوك الرسول مع الناس؛ المعاملة الإنسانيّة الحسنة. التصرّف كالناس، من دون تكبّر ومن دون تجبّر. مع أنّه ﷺ كان ذا هيبة إلهيّة وطبيعيّة بحيث كان الناس يرتبكون في حضوره إلّا أنّه كان لطيفًا وحسن الأخلاق معهم[3].

(1) من كلام له في لقاء أعضاء التجمع الإسلاميّ للطلاب (17/8/1379) (8/10/2000).
(2) من كلام له في لقاء المعوقين (28/4/1368) (19/7/1989).
(3) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).

الشجاعة:

كان شجاعًا ولم تتمكّن أيّ من جبهات العدو العظيمة من إخافته وترهيبه... كان يمكن رؤية هذه الخصوصيّات طيلة حياة ذاك العظيم منذ مرحلة الشباب إلى وفاته طيلة ثلاث وستّون سنة[1].

التواضع:

بلغ تواضعه أنّه كان يتحمّل سماع الأشياء التي لا يتحمّل الآخرون سماعها. كان أعداؤه في مكّة يتصرّفون معه أحيانًا بأسلوب يجعل أبي طالب يغضب ويستلّ سيفه عندما يسمع شيئًا من هذا القبيل، لا بل كان يصطحب غلامه ويقصد الذين تجرّؤوا على الرسول ويهدّدهم بقطع أعناقهم، أمّا الرسول فقد كان يتحمّل ذلك المشهد بتواضع بالغ. في إحدى المرّات جرى حوار مع أبي جهل فوجّه أبو جهل إهانة إلى الرسول؛ إلّا أنّه اختار السكوت وظهر عليه التواضع. خرج أحد الأشخاص ليخبر الحمزة بما فعله أبو جهل مع ابن أخيه. خرج الحمزة غاضبًا حيث قصد أبي جهل وضربه بالقوس على رأسه فسالت منه الدماء. ثمّ بعد ذلك، جاء وأعلن إسلامه تحت تأثير هذه الحادثة. وكذلك الأمر، بعد دعوة الإسلام، كان بعض المسلمين تارةً، نتيجة الغفلة أو الجهل، يوجّه إهانةً إلى الرسول حول قضيّة ما. في إحدى المرّات توجّهت إحدى زوجات الرسول -زينب

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

بنت جحش[1] وهي واحدة من أمّهات المؤمنين - إليه وقالت له أنت رسول، ولكنّك لا تعدل! تبسّم [فابتسم] النبيّ وسكت؛ فقد كانت تنتظر منه أمرًا في الحياة الزوجيّة دون أن يجيبها عليه. وفي بعض الأوقات كان يأتي بعض الأشخاص إلى المسجد حيث كانوا يجلسون ويمدّون أرجلهم ويطلبون منه تقليم أظافرهم! - حيث جاء الحثّ على تقليم الأظافر- وكان الرسول يتحمّل كلّ هذه الجرأة وقلّة الأدب بتواضع كامل[2].

بلسم آلام البشريّة:

إنّ ما ندّعيه من أنّ بعثة خاتم الأنبياء عيدٌ للبشريّة، صحيح؛ لأنّه أصبح بالإمكان، في هذه المرحلة ومن خلال تعاليم الإسلام، مداواة كافّة الآلام البشريّة بأفضل العلاجات وقد تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حول الرسول قائلًا: «**طبيب دوّارٌ بطبّه قد أحكم مراهمه وأحمى مواسمه**»[3]، [4].

(1) أمّ المؤمنين «زينب» بنت «جحش بن رباب بن يعمد الأسدي» أمها «أميمة» ابنة عبد المطلب، عمة رسول الله وكنيتها «أم الحكم». آمنت في الأيام الأولى لدعوة الرسول وكانت من أوائل المهاجرات. وأم المؤمنين «زينب» هي التي نزلت فيها آيات الحجاب (سورة الأحزاب، الآية53) بمناسبة زواجها. رافقت الرسول في غزوة خيبر. كانت امرأة صالحة متواضعة كانت تهتم بالصلاة كثيرًا وكثيرة التصدّق على الفقراء.

(2) خطبتا صلاة الجمعة (23/2/1379) (12/5/2000).

(3) السيد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 108.

(4) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (24/11/1369) (13/2/1991).

الأخلاق الحكوميّة

العبوديّة والطاعة المحضة لله:

عندما تريدون ذكر اسم رسول الله أثناء التشهّد في الصلاة وعندما تريدون احترامه تقولون «**وأشهد أنّ محمدًا عبده**»؛ فإنّكم تذكرون العبوديّة أوّلًا ثمّ تقولون بعد ذلك «**ورسوله**». العبوديّة أعلى من الرسالة، العبوديّة أساس وجوهر العمل[1].

الأساس هو العبوديّة لله:

تتجلّى قيمة والد فاطمة (صلوات الله عليهم) عند الله في العبوديّة، مع الإشارة إلى أنّ فاطمة هي مبدأ ومنبع فضائل كافّة المعصومين، لكنها وأمير المؤمنين عليهما السلام [بمثابة] قطراتٌ من بحر وجود الرسول. «**أشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله**»؛ في البداية كانت عبوديّته ثم كانت رسالته وقد أُعطي مقام الرسالة له - وهو مقامٌ عالٍ - بسبب العبوديّة؛ فالله تعالى يعرف صنيعة يديه ومخلوقه[2].

الدعوة إلى الحقّ والحقيقة:

إنّ العمل المهمّ لرسول الله، هو الدعوة إلى الحقّ والحقيقة والجهاد في سبيل هذه الدعوة. لم يكن الرسول الأكرم مشوَّشًا في مواجهة العالم المظلم في زمانه؛ سواء عندما كان وحيدًا في مكة، أو عندما كان يحيط به قلّة من المسلمين في مواجهة قادة العرب المتكبّرين وصناديد قريش

(1) من كلام له في لقاء منشدي أهل البيت عليهم السلام (19/8/2003) (28/5/1382).
(2) من كلام له في لقاء منشدي أهل البيت عليهم السلام (27/7/2005) (5/5/1384).

وكبارهم مع ما امتازوا به من خلقيّات خشنة وأيدٍ مقتدرة، أو عندما كان في مقابلة عامة الناس الذين لم يكن لديهم نصيب من المعرفة، فلم يخف! كان يتحدّث بكلامه الحقّ، ويكرّر، ويوضّح ويتحمّل الإهانات ويتقبّل الصعوبات والآلام؛ حتّى تمكّن من إدخال الإسلام إلى جمعٍ كثير. لم يضعف الرسول لحظة واحدة في ساحة الدعوة والجهاد، وكان يتقدّم بقوّة بالمجتمع الإسلاميّ ليوصله إلى أوجّ العزّة والقوّة[1].

الجهاد في سبيل الدعوة إلى الحقّ:

لقد بدأ هذا المخلوق الإلهي الفريد، وهذا الإنسان الكامل الذي وصل إلى هذه المرحلة من الكمال قبل نزول الوحي الإلهي، ومنذ اللحظات الأولى للبعثة، جهادًا مركّبًا وصعبًا من كافّة الجهات فأمضى فيه ثلاثًا وعشرين سنة في غاية الصعوبة. كان جهادًا في داخله، وجهادًا مع الناس الذين كانوا لا يمتلكون أيَّ إدراك للحقيقة وجهادًا مع تلك الأجواء المظلمة بالمطلق... لقد ملأت صفحة التاريخ المظلمة، جوانب الحياة البشريّة. وقد بدأ جهاد الرسول مع تلك القدرة العظيمة والسعي المتواصل الذي لا توقف فيه منذ الساعات الأولى للبعثة وتلقّي الوحي الإلهي فكان ينزل الوحي الإلهي على قلبه المقدّس كالماء الزلال الذي ينزل على الأرض المستعدّة فيضفي عليه قوّةً؛ ليستعمل كافّة قواه لإيجاد تحوّل كبير في هذه الدنيا؛ وقد نجح في ذلك[2].

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).

(2) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلاميّة (31/5/1385) (22/8/2006).

إنّ سيرة الأنبياء منذ البداية، هي الحركة والإقدام، ومنذ البداية، كانت تتحقّق تلك الشعارات الموجودة على ألسنتهم وفي أعمالهم. هذا ما حصل بالضبط في حياة النبيّ الأكرم ﷺ. منذ اللحظة الأولى، بدأ ذاك التعليم والتزكية وتلك الحركة في سبيل إقامة القسط. لذلك بدأ الصدام والمعارضة منذ اللحظة الأولى؛ منذ ذاك الزمان الذي بدأ فيه الرسول نشر دعوته على مستوى واسع استجابةً ل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]، واستمرّ الأمر إلى الوقت الذي شملت فيه الدعوة كافّة الناس وباتت علنيّة، وإلى زمان التحرّك نحو النظام الاجتماعي – الذي هو نظام العدل – وإقامته[2].

الوفاء بالعهود:

من جملة أخلاقه الحكوميّة أنّه كان وفيًا للعهد. لم ينقض عهدًا على الإطلاق. لم توفِ قريش بعهودها معه إلّا أنّه لم يقابلها بالمِثل. كذلك لم يوفِ اليهود بعهودهم مراتٍ عديدة؛ أمّا هو فلم يفعل ذلك[3].

لم ينقض الرسول العهد في أيّ من هذه القضايا. حتّى إنّ الأعداء يذعنون أنّ الرسول لم ينقض العهد في هذه القضايا؛ همُ الذين كانوا ينقضون العهد.

لم يتخلّف عن عهوده ومعاهداته مع الناس والمجموعات التي كان يقيم معها عهدًا، حتّى مع أعدائه وحتّى مع كفّار مكة. لم ينقض الرسول

(1) سورة الشعراء، الآية 214.
(2) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (29/9/1374) (20/12/1995).
(3) م.ن.

عهده واتّفاقه معهم؛ هم الذين كانوا ينقضون؛ أمّا الرسول فكان يقدّم جوابًا قاطعًا. لذلك كان يعلم الجميع أنّهم عندما يعقدون اتفاقًا مع هذا الشخص، يمكن الوثوق به[1].

تأسيس الحكومة الإسلاميّة

بادر الرسول عند قدومه المدينة، إلى تأسيس الحكومة. ماذا تعني الحكومة؟ لم يذهب ويجلس في زاوية، ثمّ يقول للناس: بما أنّ أذى كفار قريش بات بعيدًا، فلهم الخيار في المجيء والحضور إليه إذا ما واجهتهم مسألة ما – أو أن يقول لهم: إذا أردتم تعلّم الصلاة، اذهبوا إلى فلان أو تعالوا إليّ لأعلّمكم. في البداية أسّس حكومة ورئاسة؛ هذا هو العمل الأوّل في الإسلام. ثمّ مباشرةً، بدأت هذه الحكومة ممارسة أعمالها القادرة: الحرب، الجهاد، وبعد ذلك إرسال الرسائل إلى هذا الجانب وذاك، وحلّ وفصل الأمور الأخرى. في مقابل هذه الحقيقة، فمن ذا الذي كان بإمكانه تقديم مفهوم مغاير لمفهوم اتحاد الدين والسياسة في الإسلام[2].

---

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/2/1380) (18/5/2001).

(2) من كلام له في لقاء مسؤولي أمور الحج (13/12/1376) (3/3/2001).
صحيفة الإمام، ج 8، ص 41:
لم يكن هدف الرسول الأكرم ﷺ أن يزيل مشركي مكّة أو مشركي جزيرة العرب، بل كان قصده أن ينشر دين الإسلام، وتكون الحكومة حكومة القرآن، حكومة الإسلام. ولأنّ أولئك شكّلوا مانعًا لتحقّق الحكومة الإسلاميّة وصل الأمر إلى حدّ الحرب والمنازلة. فالمشركون كانوا يعارضون الحكومة الإسلاميّة، والمؤمنون كانوا يواجهونهم. والحروب الكثيرة التي قادها الرسول الأكرم كانت كلّها من أجل هذا المعنى، هو أن يُزيل الموانع عن طريق هذه الإرادة الإلهية. فقد كان هدفه الأعلى هو تحكيم الحكومة الإسلاميّة، أي: حكومة الله والقرآن على الجميع. ولو لم يُعارضوا قيام الحكومة الإسلاميّة لما كان معلومًا أن تقع الحرب. عارضوا وما سمحوا للحكومة الإسلاميّة أن تقوم، فوقعت الحرب.

لم يأتِ أنبياء الله، ﴿إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1]. لقد جاء النبيّ ليطيعه الناس. لم يأتِ النبيّ ليستمع إلى صاحب مسألة وليتحدّث بعدد من المسائل التي يستمع إليها البعض ولا يستمع آخرون. قد تصل الأمور إلى الحرب في سبيل تثبيت هذا الفكر الإلهي؛ ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[2]. كم تعرفون من الأنبياء الذين؛ ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾؟ كان هناك أنبياء، إلا أنّنا لا نعرفهم ولا خبر لدينا عنهم. من أولى المطالب التي وضعها الرسول في برنامجه منذ دخوله المدينة وتأسيس الحكومة الإسلاميّة، هو مطلب إظهار قوة الحكومة؛ وهذا يعني أنّ النبيّ عندما دخل، دخل حاكمًا؛ مع أنّ الناس لم يكونوا قد دعوه للحاكميّة؛ بل دعوه لقبول دينه. إنّ الخلفيّة الحكوميّة التي أرادها الرسول عبارة عن المحبّة والعقيدة والإيمان. هكذا حكومة، هي أكثر الحكومات قوّةً ورفعةً. أوجد الرسول حصارًا [طوقًا] أمنيًّا حول المدينة بالاعتماد على هؤلاء الناس. أنتم تعلمون أنّ القتل والإغارة من جملة الأمور التي كانت بسيطة وسهلة عند القبائل العربية. بدأ الرسول منذ العام الأول؛ في البداية كانت السرايا، ثم الغزوات الفلانيّة وكان يوجّه اللوم إلى الأشخاص اللامبالين اتجاه هذه الحركة أو الذين كان الخوف يتسلّل إليهم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ﴾[3].

(1) سورة النساء، الآية 64.
(2) سورة آل عمران، الآية 146.
(3) سورة النساء، الآية 77.

في يوم من الأيام قيل لهم لا تخطئوا. أين؟ في مكة. كان ذاك اليوم، يوم «كفّوا أيديكم»؛ ولكن عندما دخلتم المدينة اليوم، وأسّستم حكومة، هو يوم يجب فيه أن تعمل كلّ قواكم ومن جملتها قواكم الجسميّة [العضلات] وقوّة الحرب والتضحيات لإضفاء طابع القدرة على حاكميّة الإسلام. إنّ حاكميّة الإسلام هي من المعارف الإسلاميّة العالية[1].

الاهتمام الجديّ بتأمين مصالح المسلمين

الأخلاق الحكوميّة لذاك العظيم هي: اليقظة في مقابل وساوس الأعداء، والتواضع أمام المؤمنين والإطاعة المحضة والعبوديّة بالمعنى الحقيقي في مقابل أوامر الله والسرعة في العمل والتحرّك نحو مصالح المسلمين. هذه خلاصة عن شخصيّة ذاك العظيم[2].

«**ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم عن النار إلّا وقد نهيتكم عنه وأمرتكم به**»[3]. لقد أوضح الرسول الأكرم كافّة الأمور التي تؤدّي بالإنسان والمجتمع الإنساني إلى السعادة. لم يوضّح ذلك فقط، بل عمل به أيضًا. في زمان الرسول، جرى تأسيس الحكومة الإسلاميّة، والمجتمع الإسلامي، وتمّ تطبيق الاقتصاد الإسلاميّ وأقيم الجهاد الإسلامي، وأُخذت الزكاة الإسلاميّة؛ أصبح البلد إسلاميًا والنظام إسلاميًا.

---

(1) من كلام له في جمع من علماء الشيعة والسنّة في محافظة سيستان وبلوشستان (4/12/1381) (23/2/2003).

(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

(3) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 2، ص 171.

وأمّا مهندس هذا النظام وقائد هذا القطار في هذا الخطّ، فهو النبيّ الأكرمﷺ والشخص الذي كان يخلفه[1].

الصبر على المشقّات وتحمّلها

هنا تحمّل الرسول الأعظم مع أصحابه المخلصين، ثلاثة عشر سنة من المشقّات والمرارات حتّى تجذّرت غرسة الإسلام. وهنا حصلت بيعة العقبة مع أهل يثرب والهجرة المباركة إلى مدينة الرسول وتأسّست الحكومة الإسلاميّة بعد سنوات من المعاناة اليوميّة في شُعَبِ أبي طالب، وبعد تعذيب الأصحاب أمثال بلال وعمار وياسر وسمية وعبد الله بن مسعود والآخرين وبعد رحلة طويلة وشاقّة وعديمة النتائج للرسول بين قبائل مكّة والطائف[2].

... أحاطت الرسول ﷺ الكثير من التهديدات من كافّة الجوانب. فاضطرب بعضُ الناس وانهار آخرون واشتكى البعض، ولام آخرون الرسول ودعوه للصلح؛ أمّا الرسول فلم يضعف للحظة واحدة في ساحة الدعوة والجهاد وتقدّم بالمجتمع الإسلاميّ بقوّة ليصل به إلى قمّة العزّة والقوّة. حيث تمكّن هذا النظام والمجتمع في السنوات اللاحقة أن يصبح القوة الأولى على مستوى العالم ببركة صمود الرسول في ساحات الحرب والدعوة[3].

---

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (19/3/1374) (9/6/1995).
(2) النداء إلى حجاج بيت الله الحرام (26/3/1370) (16/6/1991).
(3) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).

إيجاد النظام في المجتمع

كانت إدارته الاجتماعيّة والعسكريّة في أعلى مستوياتها، فكان يلاحق كافّة الأمور. طبعًا كان المجتمع صغيرًا؛ المدينة وأطرافها، وبعد ذلك أضيف إليه مكّة ومدينة أو مدينتان أخريان؛ إلّا أنّه كان مهتمًّا بأمور الناس وكان منظّمًا ومرتّبًا. وقد أجرى في ذاك المجتمع البدوي، والإدارة والحساب والمحاسبة والتحفيز والتنبيّه بين الناس. هذه هي الحياة الاجتماعيّة للرسول التي يجب أن نقتدي بها جميعًا، من مسؤولي البلد وأفراد الشعب[1].

العمل لإيجاد العدل بين الناس

النقطة الأخرى في الدعوة الإسلاميّة، عبارة عن إيجاد العدل بين الناس. من جملة خصوصيّات الجاهليّة، أنّها نظامٌ ظالم. كان الظلم، عرفًا رائجًا... فعمل الإسلام على النقطة المقابلة، جاء بالعدل؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[2]. فهو من خصوصيّات المجتمع الإسلاميّ والعدل وليس مجرد شعار، بل يجب على المجتمع الإسلاميّ أن يتحرّك نحو العدل، وإذا كان العدل مفقودًا عليه أن يوجده. فإذا ما كان في العالم نقطتان متقابلتان إحداهما العدل والأخرى الظلم، وكلتاهما غير إسلاميّة، فالإسلام يُظهر موافقته على نقطة العدل تلك، حتّى لو كانت غير إسلاميّة. الرسول الأكرم ﷺ هو الذي أرسل المهاجرين إلى

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (5/7/1370) (27/9/1991).
(2) سورة النحل، الآية 90.

الحبشة، أي إنّه هو الذي أرسلهم ليكونوا في حماية ملكٍ [غير مسلم]، وذلك بسبب العدل. بعبارةٍ أخرى أبعد الناس عن البيئة التي يعيشون فيها وعن مكان حياتهم بسبب الظلم الذي كان يمارَس عليهم[1].

خلاصة معنى ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾[2] أن يعيش الناس في بيئةٍ عادلة ومجتمعٍ عادل ونظامٍ عادل؛ لهذا الأمر جاء الرسول؛ جاء لإيجاد عالَمٍ عادل ومجتمع ونظامٍ عادلَين. طبعًا في النظام العادل يجد البشر الفرصة للوصول إلى التكامل والتعالي؛ ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾. ويقول بعد ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾[3]. هل يكفي مجرّد الحديث والموعظة وأن نقول للناس تعالوا لإقامة نظامٍ عادل؟ لو فرضنا أنّ النّاس تمكّنوا من إقامة نظام عادل، فهل سيسمح الذئاب والسارقون والمجرمون ببقاء هذا النظام العادل؟ لذلك أنزلنا الحديد. لماذا أنزلنا الحديد؟ عندما نرجع إلى كتب الحديث، نجد الإمام عليه السلام عندما فَسّر الآية، ووصل إلى ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾، قال «**السلاح**»؛ السيف، السهم، الأسلحة التي تُصنع من الحديد . يتحدّث الله تعالى عن السلاح، إلى جانب الحديث عن دعوة النبوة؛ يتحدّث عن الأسلحة والقوة القاهرة، إلى جانب الموعظة التي فرضها على الأنبياء، وإلى جانب تأسيس النظام التوحيدي والإلهي.

(1) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (10/10/1370) (31/12/1991).
(2) سورة الحديد، الآية 25.
(3) سورة الحديد، الآية 25.

المداراة

عاش الناس معه عشر سنوات ليل نهار؛ ذهبوا إلى منزله وزارهم في منازلهم، وكانوا معًا في المسجد وفي الطريق، وسافروا معًا وناموا وجاعوا وفرحوا... إنّ هؤلاء الناس الذين عاشوا معه عشر سنوات، كانت تتعمّق في قلوبهم محبّته والاعتقاد به يومًا بعد يوم. عندما تخفّى أبو سفيان، أثناء فتح مكة، ودخل معسكر النبيّ بحماية وتشجيع من العباس - عم النبيّ - ليحصل على الأمان، شاهد النبيّ يتوضّأ صباحًا، والناس مجتمعون حوله لالتقاط قطرات الماء التي تنزل من وجهه ويديه! قال حينها: إنّه رأى كسرى وقيصر - الملكين الكبيرين والقويّين في العالم- إلّا أنّه لم يشاهد فيهما هذه العزّة[1].

المشهد الآخر من حياة الرسول، سلوكه وتصرّفه مع الناس. لم ينس على الإطلاق الخُلق والطبع الشعبي والمحبّة والرفق بالناس والسعي إلى إرساء العدل بينهم. كان يعيش كما الناس وبينهم، كان يجلس وينهض معهم، كان صديقًا ورفيقًا للغلمان وطبقات المجتمع المتدنّية، كان يتناول الطعام معهم ويجالسهم، ويُظهر لهم المحبة والمداراة. لم تغيّره السلطة ولا الثروة الوطنية. لم يختلف سلوكه في المرحلة الصعبة عنه في مرحلة انتهاء الصعوبات. كان مع الناس ومن الناس في كافّة الأحوال! كان يرفق بهم ويريد لهم العدل[2].

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/2/1380) (18/5/2001).
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (7/5/1370) (29/7/1991).

الدعوة إلى الولاية

إنّ الشخص الذي يجري الحديث عنه في هذا اليوم [عيد الغدير]؛ أي الوجود المقدّس لأمير المؤمنين، مولى المتّقين عليه السلام، كان قدوة وشخصيّة ممتازة في قسمَي الولاية؛ الولاية على نفسه وإخضاعها وهذا هو الجزء الأساس، وفي القدوة التي قدّمها فيما يتعلّق بالحكومة الإسلاميّة والولاية الإلهية. و إنّ النموذج الأتمّ والأسوة [الساطعة] في التاريخ لكلّ من أراد معرفة الولاية الإلهيّة، يكمن هنا. إنّ الذي يجب أن يُطرح كدرسٍ لنا اليوم... هو أن نبذل جهودًا حقيقيّة وأن نجاهدَ في هذين القسمَين من الولاية اللّذين لمع فيهما مولانا ومحبوبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث يمكن أن تكون كلّ كلمة من كلامه وكلّ حركة من حركاته درسًا لكلّ إنسان... وفي باب الولاية ساحتان أساسيّتان:

الأولى: ساحة النفس الإنسانيّة، حيث يمكن للإنسان أن يجعل للإرادة الإلهيّة ولاية على نفسه فيُدخل نفسه في ولاية الله، هذه هي الخطوة الأولى والأساسيّة وما لم يتحقّق ذلك لن تتحقّق الخطوة الثانية.

الثانية: هي إدخال بيئة الحياة في ولاية الله أي أن يتحرّك المجتمع بالولاية الإلهيّة بحيث لا يمكن لأيّ ولاية -من ولاية المال، وولاية القوم والقبيلة، وولاية القوّة، وولاية السنن والآداب والعادات الخاطئة- أن تشكّل مانعًا عن ولاية الله أو أن تقدّم نفسها في مقابل ولاية الله[1].

(1) من كلام الإمام القائد في لقاء مسؤولي النظام (19/3/1372) (9/6/1993).

لقد أدّى نبيّ الإسلام الأكرم إحدى أهمّ الواجبات اتّباعًا لأمر الله وعملًا بآيات القرآن الصريحة؛ ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1]؛ إنّ مسألة تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية والخلافة هي على درجة كبيرة من الأهمية بحيث إنّك إن لم تفعل ذلك، فلم تبلّغ رسالته! فإمّا أن يكون المقصود هنا أنّك لم تبلّغ الرسالة في هذه القضية على وجه الخصوص؛ لأنّ الله تعالى قد أمر ﴿بَلِّغْ﴾ وإمّا أن تكون المسألة أكبر من ذلك. وهي إيجاد خدشٍ في أصل رسالة الرسول من خلال عدم القيام بهذا العمل حيث تصبح القواعد متزلزلة - هذا الاحتمال موجود - وكأنّه لم يبلّغ أصل الرسالة. والمحتمَل أن يكون هذا هو المعنى، وفي هذا الحال تكون القضيّة شديدة الأهميّة. هذا يعني أن يصبح موضوع تأسيس الحكومة، وأمر الولاية وإدارة البلد جزءًا من النصوص الأساسيّة للدين وأنّ الرسول امتثل - مع كلّ عظمته - واهتمّ بإبلاغ الرسالة أمام أعين الناس، بأسلوبٍ وشكلٍ وكأنّه لم يُبلّغ أيّ أمرٍ واجب بهذا النحو؛ لا الصلاة، ولا الزكاة، ولا الصيام، ولا الحج[2].

اتّباع القانون الإلهي

كان ﷺ شديد المحافظة والرعاية للقانون ولم يسمح لأحد بأن ينقض القانون - سواء كان من جانبه أو من جانب الآخرين- فكان

(1) سورة المائدة، الآية 67 ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(2) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (18/2/1375) (7/5/1996).

محكومًا للقوانين. والآيات القرآنية تنطق بهذه المسألة. كان يعمل بشكل دقيق بالقوانين التي يجب على الناس العمل بها ولم يسمح بالتخلّف على الإطلاق. عندما جلبوا الرجال في حرب بني قريظة، فقتلوا الخائنين وأسروا الباقين وأحضروا أموال وثروات بني قريظة تحدّثت بعض نساء النبيّ إليه - ومن جملتهن أمّ المؤمنين زينب بنت جحش، أمّ المؤمنين عائشة، أمّ المؤمنين حفصة - وقلن: أعطنا مقدارًا من هذا الذهب وهذه الثروة التي جُمعت من اليهود لكنّ الرسول لم يلبِ طلبهنّ على رغم محبّته لهنّ وتصرّفه الحَسَنِ معهنّ. ولو أراد النبيّ أن يعطي نساءه من تلك الثروات، لما اعترض المسلمون بيد أنّه لم يكن مستعدًّا لذلك. أصرّت نساءه على ذلك، فابتعد الرسول عنهنّ مدّة شهر. بعد ذلك نزلت الآيات الشريفة في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2]. أوضح الرسول لهن: أنّكنّ إذا أردتنّ الحياة معي، فالحياة، حياة زهد، لا مجال فيها لتجاوز القانون[3].

(1) سورة الأحزاب، الآية 32.

(2) سورة الأحزاب، الآيتان 28 و 29.

(3) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

صحيفة الإمام، ج 8، ص 281:

إنّ حكومة رسول الله وحكومة أمير المؤمنين هي حكومة القانون؛ أي إنّ القانون جاء بها إلى العمل ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ هذا هو حكم الله، وهؤلاء واجبوا الإطاعة بحكم القانون. فالحكم إذًا للقانون، وهو الذي يجب أن يحكم في البلاد الإسلاميّة ولا حكومة لغيره.

معرفة العدوّ

من جملة النّقاط المهمّة في حياة الرسول، أنّه كان لا يساوي بين الأعداء. بعض الأعداء، كان عداؤهم عميقًا؛ وإذا وجد الرسول أنّهم لا يشكّلون خطرًا أساسيًّا، كان يتركهم ويتساهل معهم. والبعض الآخر من الأعداء كانوا يشكّلون خطرًا، فكان يراقبهم أمثال عبد اللّه بن أبي. فقد تآمر عبد اللّه بن أبي -وهو منافقٌ من الطراز الأوّل- على الرسول؛ غير أنّ الرسول كان يراقبه فقط، ولم يتدخّل في أعماله وقد بقي حيًّا حتّى نهاية عمر الرسول. توفّي عبد اللّه بن أبي قبل وقت قصير من وفاة الرسول، إلّا أنّه تحمّله حتّى النهاية. كانت تلك مجموعة من الأعداء الذين كانوا لا يشكّلون تهديدًا حقيقيًّا للحكومة والنظام الإسلاميّين وللمجتمع الإسلاميّ؛ وأمّا الأعداء الذين كانوا يشكّلون خطرًا، فكان الرسول شديدًا عليهم. فقد أمر هذا الإنسان العطوف الرحيم المتسامح، بقتل الخائنين من بني قريظة - عدّة مئات من الأشخاص - في يوم واحد وأخرج بني النضير وبني قينقاع وفتح خيبر؛ لأنّهم كانوا أعداءً خطرين. تعامل معهم الرسول عندما دخل المدينة - بادئ الأمر- برفقٍ وعطف؛ إلّا أنّهم قابلوه بالخيانة وطعنوه من الخلف وتآمروا عليه وهدّدوه. تحمّل النبيّ عبد اللّه بن أبي؛ وتحمّل يهود المدينة؛ وتحمّل القرشي الذي آوى إليه أو الذي لا يشكّل خطرًا. وعندما فتح مكة، كان عطوفًا مع بعض الكبار ومن جملتهم أبي سفيان حيث زال خطرهم في حين أنّه قمع بشدّة هذا العدو الغدّار الخطير الذي لا يمكن الوثوق به[1].

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (23/2/1379) (12/5/2000).

أمرنا الإسلام بالمحبّة، والمداراة، واللطف، والتغاضي، والعفو عن العدو، – وليس فقط الصديق– فصديقنا هو منّا؛ فإذا أحببنا الأصدقاء فنحن لا نؤدّي عملًا مهمًّا بل إنّ القيمة في الرؤية الإسلاميّة والأخلاقيّة تبرز عند محبّة العدو؛ ونحن نرغب في إحياء هذه القيمة[1].

إنّ معرفة العدوّ، هي خلاصة كافّة تلك المعارف ومتمّمها ومكمّلها. وبدونها يكون قلب وذهن المسلم مخزنًا غير محصّن، وغير مصان أمام اعتداء الخائنين والمغيرين. وفي أعمال الحج نفسها يُعدّ رمي الجمرات رمزًا لمعرفة العدوّ ومحاربته؛ وقد تلا رسول الإسلام الأكرم آذان البراءة في الحجّ وردّدت حنجرة أمير المؤمنين آيات البراءة[2]، في تلك المراسم. وإذا تخلّص الإسلام والأمّة الإسلاميّة في يوم من الأيّام من وجود العدو الجرّار وأصبح هذا الشيء ممكنًا، فحينها سينتفي مسوّغ البراءة حينئذٍ من [المشركين]، ولكن مع وجود الأعداء وعدائهم الحالي، فإنّ الغفلة واللامبالاة بالبراءة هي من جملة الأخطاء الكبيرة[3].

العمل السياسي الدقيق في مواجهة العدوّ

كان قاطعًا وصريحًا. لم يتحدّث الرسول بكلام يحمل وجهين. طبعًا عندما كان يواجه عدوًا، يؤدّي العمل السياسي بشكل دقيق فيُوقع العدوّ في الخطأ. وفي العديد من الموارد، غافَلَ الرسول العدو –سواء من الناحية العسكريّة، أو

(1) من كلام له في لقاء قادة ومسؤولي معسكر الأسرى العراقيين (22/10/1362) (12/1/1984).
(2) سورة التوبة، الآية 1، ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.
(3) النداء إلى حجاج بيت الله الحرام (12/1/1377) (1/4/1998).

من الناحية السياسيّة- غير أنّه كان مع المؤمنين ومع شعبه، صريحًا وشفافًا ويتحدّث بشكلٍ واضح ولم يتصرّف بنحوٍ سياسي، بل كان ليّنًا في الأماكن الضروريّة؛ مثال ذلك قضيّة عبد الله بن أبي الذي له قصّة مفصّلة[1].

تحرّك الرسول نحو مكّة قاصدًا العمرة. شاهدوا أنّه يتحرّك نحو مكّة في الشهر الحرام - وهو ليس شهر حرب حيث كانوا يحترمون الشهر الحرام - فماذا يفعلون؟ هل يفتحون الطريق ويسمحون له بالمجيء؟ ماذا سيفعلون إزاء هذا النجاح الذي أصابه، وكيف يمكنهم مواجهته؟ هل يتحرّكون في الشهر الحرام لحربه؟ كيف سيحاربون؟ في النهاية قرّروا وقالوا نذهب ولا ندعه يأتي إلى مكّة وإذا وجدنا مبرّرًا [أو سنحت الفرصة]، فسنقتل المسلمين بأجمعهم. تصرّف الرسول بدرجة عالية من الحنكة والتدبير للجلوس لتوقيع معاهدة معه على الرجوع؛ على أن يأتي في العام القادم لأداء العمرة؛ وبالتالي فتح كافّة الأجواء في المنطقة لتبليغ الرسالة. كان اسم ذلك صلحًا؛ لكنّ الله تعالى يقول في القرآن: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[2]. إنّ الذين يراجعون المصادر التاريخيّة الصحيحة والدقيقة، سيشاهدون كم كانت قصّة الحديبيّة عجيبة. في العام التالي ذهب الرسول لأداء العمرة وكانت شوكة ذاك العظيم تزداد يومًا بعد يوم. بعد عام من ذلك - أي في السنة الثامنة- وعندما نقض الكفار العهد، ذهب الرسول وفتح مكة، حيث كان فتحًا عظيمًا ينبئ عن

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/2/1380) (18/5/2001).
(2) سورة الفتح، الآية 1.

اقتدار الرسول وتمكّنه وقوّته. بناءً على ذلك، اتّسم تعامل الرسول مع العدوّ بالتدبير والحنكة والاقتدار مع ما امتاز به من صبرٍ وتحمّل من دون أن يتطرّق إليه الاضطراب أو التراجع حتّى خطوة واحدة فكان يتحرّك نحو الأمام يومًا بعد يوم ولحظة بعد لحظة[1].

إيجاد أجواء الوفاء ومعرفة الحقّ

قرأت في حديث أنّ وفدًا جاء إلى الرسول الأكرم في المدينة، موفَدًا من النجاشيّ – ملك الحبشة – لإيصال رسالة! وهو ما كان متدَاولًا بين الدول. كان النجاشيّ ملكًا على الحبشة، وكان كالكثير من السلاطين والأمراء في ذاك الزمان، مسيحيًّا غير مسلم؛ وعندما قدّم الوفد من الحبشة، نهض الرسول من مكانه لاستقبالهم. تكلّم الأصحاب وقالوا: «يا رسول الله دعنا نحن نقوم بأمر استقبالهم وشأن ضيافتهم». فأجابهم الرسول قائلًا إنّه يريد التعويض عن الاحترام والتكريم الذي لاقاه المسلمون عندما هاجروا إلى الحبشة. وهذه إشارة إلى معرفة الحقّ.

... لذلك تشاهدون أنّ الرسول الأكرم ﷺ، لم يوجّه جيشًا إلى الحبشة ولم يذهب إليها، على الرغم من دخوله حروبًا عديدة في حياته مع كفار قريش وخوضه عدّة حروب مع إمبراطورية الروم الشرقيّة –حيث كانت منطقة الشام وفلسطين خاضعة لها آنذاك – وتحرّكه ليشارك في معارك اليرموك ومؤتة وتبوك، ويخوض الجهاد والفتوحات في تلك النقاط!

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/2/1380) (18/5/2001).

... ليس صحيحًا أنّ الرسول كان يحارب كلّ ملك لا يقبل الإيمان الإسلامي؛ لا، فقد أبقى الرسول على معرفة العهد والحقّ [عرفان الجميل] وشكر النجاشي على محبّته، واستمرّ هذا الأمر في مرحلة الحكومة الإسلاميّة والعهد الذي كان الرسول فيه على رأس النظام الإسلامي.

في عهد الحكومة الإسلاميّة، جاءت امرأة إلى المدينة لرؤية الرسول. شاهد الأصحاب أنّ الرسول، قد أظهر الكثير من المحبّة لها، سأل عن أحوالها وأحوال عائلتها وتعاطى معها بمنتهى الاحترام واللطف. وبعد أن رحلت، توجّه الرسول إلى الأصحاب، محاولًا رفع تعجّبهم، موضّحًا أنّ هذه المرأة كانت تأتي إلى منزله في زمان خديجة (مرحلة الضغط والحصار والشدّة في مكة). لا بدّ أنّ ذلك كان في وقت حاصر فيه الجميع أصحاب الرسول، وكانوا لا يزورون السيّدة خديجة - زوجة الرسول الأكرم - فكانت هذه المرأة تتردّد إليها. لم تذكر الرواية أنّ هذه المرأة قد أصبحت مسلمة؛ لا. من المحتمَل أنّها لم تكن مسلمة، إلّا أنّ الرسول راعى هذا الحقّ لمجرّد وجود هذه الخصوصيّة، فأظهر المحبّة واللطف بعد سنواتٍ طويلة على ذلك[1].

الترويج للتعلّم

الآن، هنا - مكّة والمدينة - مركز الوحي ومحلّ نزول البركات الإلهيّة على جماعة مؤمنة ومقاومة تمكّنت ببركة الإيمان والعمل بالآيات الإلهيّة،

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).

من النهوض من بين غبار الذلّ الذي رقد عليها؛ لتأخذ بعين الاعتبار الحريّة اللائقة للإنسان، وترفّع لواء الحريّة للبشريّة ونجاة الإنسان من سلطة إمبراطوريّات القوّة والظلم في ذاك الزمان، ولتؤسّس من خلال النور المعرفي الذي ينبع من القرآن، مركزًا عظيمًا للمعرفة البشريّة ولتتربّع لقرونٍ على منبر العلم والمعرفة البشريّة؛ ولتكون سخيّةً في تعليم البشريّة، فتقدّم أفضل الآثار العلميّة طيلة قرون متمادية وترسم [تحدّد] مصير عالم البشريّة بعلمها وسياستها وثقافتها؛ كلّ ذلك من بركات تعاليم الإسلام والحكومة الإسلاميّة الخالصة في عهد الرسول وفترة من صدر الإسلام حيث بقي المسلمون يتذوّقون ثمار ذلك على رغم تسلّط ونموّ الشجرة الخبيثة لحكومات السلطنة والارتداد عن المرحلة التوحيديّة[1].

تهيئة الأجواء للعمل والسعي في المجتمع

يجب تذكّر الرسول الأكرم ﷺ والحديث عنه في الأيّام المخصّصة لاستذكار التعليم والتربية والإنتاج والعمل؛ لأنّ ذاك العظيم هو معلّم البشر ورافع لواء التعليم والتربية واحترام العمل والسعي[2].

الاهتمام بالماديّات للوصول إلى المعنويّات

ليس الهدف العالي للإنسان أن يملأ بطنه بأيّ شكل كان؛ فهذا أدنى ما يمكن لأيّ حيوانٍ أن يختاره كهدف. يتمثّل الهدف العالي للإنسان في الوصول

(1) النداء إلى حجاج بيت الله الحرام (26/3/1370) (16/6/1991).
(2) من كلامه في لقاء المعلمين والعمال (10/2/1382) (30/4/2003).

إلى الحقّ والوصول إلى قرب الباري تعالى والتخلّق بالأخلاق الإلهيّة. ويلزم الإنسان لتحقيق هكذا أهداف، مجموعة من الأدوات الماديّة والمعنويّة فهو يحتاج إلى الطعام ليتمكّن من التحرّك نحو الهدف. الحياة المريحة لازمة وضروريّة للبشر والإسلام يقود الناس من خلال قوانينه وضوابطه نحو الرفاه والحياة المريحة إلّا أنّ هذه الحياة المريحة ليست هدفًا بحدّ ذاتها[1].

نشر أجواء الأخوّة والتعاون

من جملة الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ في الأشهر الأولى لدخوله المدينة هو إبرام عقد الأخوة بين المسلمين؛ أي المؤاخاة بين المسلمين. عندما نقول نحن أخوّة، فهذا ليس مجاملة؛ بل إنّ المسلمين حقيقةً يتمتّعون بحقّ الأخوّة فيما بينهم وهم يطالبون بعضهم بعضًا كما أنّ الأُخْوَة مدينون بعضهم لبعض؛ ويجب عليهم مراعاة الحقوق المتقابلة بينهم وهذا ما فعله الرسول عمليًّا[2].

جعل حياة الناس ممزوجة بالقيم الإسلاميّة

لقد مزج رسول الإسلام البيئة الحياتيّة بالقيم الإسلاميّة لتتكرّس القيم والأخلاق الإسلاميّة بشكلٍ كامل في المجتمع، ولتختلط مع روح وعقائد وحياة الناس[3].

(1) من كلام له في جمع زوار الحرم الرضوي (29/1/1370) (18/4/1991).
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).
(3) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).

جعل البيئة المحيطة سليمة

الترويج للتفاؤل ودفع سوء الظن:

كان رسول الله ﷺ يقول للنّاس: «**لا يبلّغني أحدٌ منكم عن [أحد من] أصحابي شيئًا فإنّي أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[1]. أي أن أخرج إلى المسلمين بصدرٍ صافٍ وطاهر من دون أيّ نظرة سيّئة. هذا كلام الرسول وأمر به المسلمين. لاحظوا كم ساعد هذا السلوك الرسول الأكرم ليشعر المسلمون بضرورة التعاطي مع المجتمع والبيئة الإسلاميّة من دون سوء ظنٍّ، وعلاوةً على ذلك، لزوم التعاطي بتفاؤل. وفي الروايات أنّه عندما تكون الحاكميّة مع الشرّ والفساد، عليكم إساءة الظن بكلّ شيء؛ ولكن عندما تكون الحاكميّة بالخير والصلاح في المجتمع، عليكم ترك سوء الظنّ، بل عليكم حسن الظنّ بعضكم ببعض؛ عليكم الإصغاء بعضكم إلى كلام بعض وقبوله والتغاضي بعضكم عن سيّئات بعض وتوجيه النظر إلى الأمور الجميلة.

كانت عادة المسلمين الحضور إلى الرسول والهمس في أذنه، ومناجاته بحديثٍ خفي وسري وقد نزلت الآية الشريفة التي نهت عن النّجوى في أذنه، لأنّ ذلك سيؤدّي إلى إيجاد سوء الظن عند المسلمين الآخرين[2].

مواجهة نشر الشائعات:

إنّ حادثة «**الإفك**» في هذا الإطار، هي حادثة هامّة للغاية فكرتُ فيها مرارًا ورجعتُ إلى الآيات المتعلّقة بها حيث جاء في سورة النور عدد من

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج16، ص230.
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (22/7/1368) (14/10/1989).

الآيات التي توضّح الحادثة. خلاصة حادثة «**الإفك**» أنّ إحدى زوجات الرسول تخلّفت عن القافلة في إحدى الحروب. كان الرسول قد اصطحب زوجته تلك إلى ساحة المعركة، وعند العودة تفقّدها فلم يجدها. تخلّفت لأسبابٍ معيّنة؛ إمّا لأنّ النعاس قد غلبها أو أنّها ذهبت لقضاء حاجة. تجمّع المسلمون فوجدوا أنّ زوجة الرسول ليست بينهم. وكان أحد المسلمين قد جاء واصطحب زوجة الرسول إلى المدينة.

... ليست المسألة أنّ تلك المخدَّرة، زوجة الرسول ويجب احترامها بل أنّ المسألة في آيات القرآن شيء آخر. أظهرت آيات سورة النور الحساسيّة الشديدة حول مسألة «**الإفك**» -أي هذا الكلام الكاذب الذي روَّج له المنافقون والفاسدون والأشخاص المرضى في المجتمع- فجاءت مجموعة من الآيات المتلاحقة التي تحمل لحنًا حادًّا والتي تتوجّه إلى المسلمين وتلومهم وتُنكر عليهم أنّهم لم يواجهوا صاحب الشائعة بشدّة عندما سمعوا بها ولماذا لم يردّوها بشكل قاطع-هذا هو المستفاد من الآيات.

... بدأ الجملة في هذه الآية بعبارة «**لولا**» في مكانين. ويوضّح أهل الأدب العربي أنّ «**لولا**» التحذيريّة تُستخدم عندما يريد الإنسان أن يتوجّه إلى المخاطب في كمال الشدّة والتوبيخ والقول له: لماذا لم تفعل هذا العمل؟ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[1]. ويقول في مكانٍ آخر: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ

(1) سورة النور، الآية 12.

بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[1]. أعتقد أنّ هذه الحادثة العظيمة في تاريخ الإسلام وزمان الرسول أدّت إلى القضاء بالكامل على جذور الإشاعات في المسائل الشخصيّة لأفراد المجتمع الإسلامي، حيث كانت تؤدّي إلى سوء الظن بين المسلمين وجعل الأجواء غير سليمة[2].

إزالة البُغض والحقد والعداء:

كان الرسول الأكرم لا يريد أن يشوب حياة المجتمع الإسلاميّ ولو القليل من الحقد والبغضاء والعداء. كان يعمل جاهدًا لإيجاد المحبة والودّ بين الناس حتّى إنّه عفى عن أهالي مكّة عندما اتّسعت دائرة الإسلام وأمسك بزمامها. إنّ أهالي مكّة هم هؤلاء الأشخاص الذين أخرجوا الرسول من مدينتهم وقد تحمّل الرسول منهم ثلاثة عشر سنة من الأذى والألم وكان له عدّة حروب معهم حيث قُتل الكثير من المسلمين - والمسلمون قد قَتَلوا منهم أيضًا - فلو أن هؤلاء - مع هذه الحلة ذاتها- استضافوا جيش رسول الله الفاتح[3]، لما أمكن لسنواتٍ طويلة إقامة الصلح معهم. لذلك وبمجرّد دخول الرسول مكة، أعلن على الملأ: «**أنتم الطلقاء**»[4]، أي إنّني عفوتُ عنكم جميعًا. لقد عفى عن قريش وانتهى الأمر[5].

(1) سورة النور، الآية 16.

(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).

(3) يظهر أن المقصود هنا من كلام القائد: أنهم لو تواجهوا مع جيش النبي الفاتح دون أن يعفو عنهم لمّا حصل الصلح وحقنت الدماء ولاستمرّت الحروب والثارات.

(4) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج97، ص59.

(5) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).

إيجاد أجواء من المحبّة:

من جملة الأعمال المهمّة للرسول الأكرم، إيجاد حالةٍ من التعاون والتعاضد والمواساة والمحبّة المتبادلة بين المسلمين. ما دام الرسول حاضرًا في المجتمع الإسلاميّ كان بمقدار سعته الوجوديّة، لا يسمح للمسلمين أن يحملوا بغضًا وحقدًا وعداءً لأحد. لقد تمكّن الرسول حقيقةً ومن خلال حكمته وحلمه، من إيجاد أجواء عذبة وسالمة ومحيطٍ مليءٍ بالمحبّة.

ومن جملة أعمال الرسول الأكرم ﷺ، أنّه جعل بيئة المجتمع، بيئة مليئة بالمحبّة والحنان ليحبّ كافّة الأشخاص بعضهم بعضًا ولينظر بعضهم إلى بعض نظرة حُسنِ ظن[1].

جاء في القرآن الكريم حول أصحاب الرسول: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]؛ هؤلاء أشدّاء في مقابل الكفّار، أي الأعداء الذين اصطفّوا للحرب ولم يكن المقصود من الكفار، اليهودي أو المسيحي الذي كان يعيش في المدينة، تحت ظلّ رسول الله. ففي ذاك الزمان كان الكثير من المسيحيّين واليهود يعيشون في المدينة وكان للرسول وأصحابه علاقات حسنة معهم وهو لم يقصدهم بعبارة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾. بل أطلق ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ على بعض الكفّار إمّا أمثال قريش التي كانت دائمة الحراك العسكري ضدّ الإسلام والمدينة الإسلاميّة، وإمّا أمثال يهود بني قريظة

(1) م.س.
(2) سورة الفتح، الآية 29.

وخيبر وباقي المناطق الذين كانوا لا يوفون بالعهود - الذين كانوا يتحرّكون في كافّة الاتّجاهات؛ ليجمعوا ويجهّزوا جيشًا ضدّ الإسلام يتحرّكون ويبثّون الشائعات- وإمّا أمثال المسلمين في الظاهر، الذين كانت قلوبهم وبواطنهم تحكي عن كفرهم والذين كانوا يعيشون داخل المدينة، هؤلاء كانوا على علاقة مستمرّة مع الكفار من الدرجة الأولى أو الدرجة الثانية. ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أيّ أشداء على هذه المجموعات الثلاث غير أنّهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾. هذا هو النهج الإسلامي. هذا لأجل أن لا يتمكّن العدوّ من النفوذ بأيّ نحو كان في مقابل هؤلاء الأشداء. ماذا يعني أشدّاء؟ أي الثبات المطلق. يقول حول الحديد: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[1]. الشديد أي المحكَم. ليس المراد من الشدّة هنا، الظلم، وليس المراد منها إراقة الدماء، بل المراد الإحكام؛ أي إنّ هذا الساتر يجب أن لا يلين وهذا الحائط يجب أن لا يتزلزل[2].

محاربة اللامبالاة:

يجب أن يتعاطى المسلمون بعضهم مع بعض انطلاقًا من العطف والمحبّة ومن دون وجود أدنى مقدار من اللامبالاة. ليس صحيحًا إذا شاهدتم مسلمًا مبتلىً بحادثة ما تمرون عليه لامبالين. من جملة الأعمال المهمّة للرسول الأكرم هو إيجاد التعاون والتعاضد والمحبّة المتقابلة بين المسلمين[3].

(1) سورة الحديد، الآية 25؛ ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾.
(2) من كلام له في لقاء جمع من الحرس الثوري والطلاب (11/8/1379) (1/11/2000).
(3) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).

محاربة البدع الجاهلية:

قد يأمر شخص في وقت من الأوقات أو يوصي أن يتمتّع الناس على سبيل المثال بحُسن الخلق والتسامح والصبر والاستقامة في سبيل الله وأن لا يظلموا ويسعوا نحو إقامة العدل؛ أي أن يكون المطروح هنا الوصيّة والأمر والتعليم - وهي أمورٌ لازمة- فالرسول كان يُعلّم ويعطي الناس درسًا في المعرفة والحياة، إلّا أنّ الأمر قد يكون تارةً أعلى من التعليم؛ أي أن يتصرّف المعلم ويتّخذ سلوكًا من شأنه أن يجعل هذه الأخلاق والمسؤوليّة الإسلاميّة ثابتة، وأن ينهض لمواجهة عقائد الناس الخاطئة، وأن يحارب العواطف الجاهليّة وترسّبات الأخلاق غير الإسلاميّة، وأن يوجد صدمة في المجتمع والناس وأن يعمل في الأوقات المناسبة وبالأساليب الملائمة، ما يؤدّي إلى الامتزاج الكامل لأجواء المجتمع والبيئة الحياتيّة للناس، بهذه الصفة والأخلاق والسلوك الحَسَن[1].

الليونة مع المؤمنين والشدّة مع الكافرين:

يتحدّث الإسلام حول التعامل والأخلاق الفرديّة للرسول ويقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]. يمدح الله تعالى الرسول بسبب ليونته في التعاطي مع الناس ويقول له إنّك لست غليظًا خشنًا. ويتحدّث القرآن الكريم في مكانٍ آخر حول الرسول

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).
(2) سورة آل عمران، الآية 159.

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1]. إنّ مادة «غ ل ظ» الموجودة في الآية السابقة، موجودة في هذه الآية، غير أنّها في السابقة لها علاقة بالمؤمنين، في ما له علاقة بالتعاطي والسلوك الفردي؛ ولكن في هذه الآية، لها علاقة بتطبيق القانون وإدارة المجتمع وإيجاد النظم. الغلظة هناك قبيحة، وهنا حسنة؛ الخشونة هناك قبيحة، وهنا حسنة[2].

التعامل مع الأجانب:

وقّع الرسول الأكرم في الحديبيّة صلحًا مع كفار قريش. وكان له مع بعض الكفار معاهدات صلح طويلة الأمد؛ أي لم يكن هناك أي دافع عدائي؛ وهذا أمر واضح من خلال القرآن: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[3]؛ فيمكنكم إقامة علاقات حسنة مع الكفار الذين لا يعادونكم والذين لا يمتلكون سابقة سوء والذين لم يظلمونكم ولم يخرجوكم[4].

الاهتمام بالشباب:

تتطابق رؤية الإسلام للشباب بالدقّة، مع الأمور التي تعتبر اليوم من جملة اقتراحاتنا ومبتغياتنا من الجيل الشابّ ولأجل الجيل الشابّ. قدّم

(1) سورة التوبة، الآية 73.
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (26/1/1379) (14/4/2000).
(3) سورة الممتحنة، الآية 8.
(4) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (9/11/1368) (29/1/1990).

الرسول الأكرم وصايا حول الشباب، كان يستأنس بهم وكان يستفيد من الطاقة الكامنة في الشباب للأعمال الكبيرة... لا تنظروا إلى أمير المؤمنين كشخصية في مرحلة الأربعين والخمسين والستين سنة من عمره فحسب. بل إنّه شخصيّة متلألئة ومتألّقة في شبابه ويمثّل نموذجًا خالدًا يجدر بالشباب أن يقتدوا به. استفاد الرسول في مدّة عشر سنوات وعدّة أشهر من عمر الحكومة من عنصر الشباب وفي أعلى المستويات، وليس من شخص الإمام علي عليه السلام وحسب[1].

لقد أوكل الرسول الأكرم إحدى المسؤوليّات الكبيرة مسؤوليّة كبيرة لشابّ في الثامنة عشرة من عمره وذلك في إحدى أكثر لحظات حياته حساسيّة. كان الرسول في الحروب يتولّى القيادة؛ ولكنّه في الأسابيع الأخيرة من حياته وعندما شعر بقرب رحيله عن هذا العالم ولم يكن باستطاعته قيادة الجيش نحو إمبراطوريّة الروم -لأنّه كان عملًا صعبًا وكبيرًا؛ وهو بحاجة لاختيار قادة لا تثني عزيمتها العقبات- لذلك أوكل المسؤوليّة إلى شابٍّ في الثامنة عشرة من عمره. كان بإمكان الرسول إسناد هذه المسؤوليّة إلى أحد الأصحاب ممّن هم في الخمسين والستّين من العمر وأصحاب التجارب في الحرب والجبهة؛ بيد أنّه اختار شابًّا في الثامنة عشرة من عمره وهو «**أسامة بن زيد**». استفاد الرسول من إيمانه ومن كونه ابن شهيد. أرسل زيدًا إلى مكانٍ كان قد أرسل إليه والده -أي

(1) من كلام له في جمع من الشباب (1/2/1379) (10/5/2000).

زيد بن حارثة- قبل سنتين حيث استشهد هناك. لقد أوكل الرسول قيادة جيش كبير وعظيم يضمّ كبار الصحابة والشيوخ والقادة من أصحاب التجربة، لشاب في الثامنة عشرة من العمر. قال له الرسول سأرسلك إلى المكان الذي استشهد فيه والدك - أي إلى «**مؤتة**» التي كانت تابعة لإمبراطوريّة الروم آنذاك وهي اليوم في الشام - لتعسكر هناك، ثمّ أصدر إليه أوامر القتال والإذن بالحرب. لقد كانت طاقة الشباب من وجهة نظر الرسول مهمّة إلى هذا المستوى[1].

المشورة في اتّخاذ القرارات

راج تأسيس المجالس التشريعيّة بالشكل الحالي في الدول الإسلاميّة في القرن الأخير ولكنّ الإسلام في الأساس هو المنادي والرائد في مسألة تأسيس الحكومات الشعبيّة القائمة على الشورى في إطار الوحي والشريعة الإلهيّة. كان رسول الإسلام الأكرم وطبق الأمر الإلهي ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ**﴾[2] يستشير فيما يتعلّق بالمهام الحكوميّة في الإسلام وكان في بعض الحالات يعمل برأي الأصحاب. قد يصحّ القول بأنّ هذا الأمر من أسرار التقدّم السريع والفريد للمسلمين في بداية تاريخ الإسلام[3].

(1) من كلام له في جمع من الشباب (1/2/1379) (10/5/2000).
(2) سورة آل عمران، الآية 159.
(3) من نداءه إلى مؤتمر المجالس الإسلاميّة (25/3/1378) (15/6/1999).

تعاليم الرسول ﷺ

درس المعرفة

لقد أوجد الرسول الأكرم ﷺ نظامًا تشتمل فيه خطوطه الأصليّة على عدّة أمور. وجدتُ من بين هذه الخطوط الأصليّة، أربعة أمورٍ أساسيّة هي: المعرفة الشفافة وغير المبهمة؛ المعرفة بالدين، المعرفة بالأحكام، المعرفة بالمجتمع، المعرفة بالتكليف، المعرفة بالله، المعرفة بالرسول، المعرفة بالطبيعة وهي المعرفة التي أفضت إلى العلم والتعلّم وإلى إيصال المجتمع الإسلاميّ نهاية القرن الرابع الهجري إلى أوج الحضارة العلميّة؛ فالرسول لم يسمح بالإبهام. وفي هذا المجال، آيات قرآنيّة عجيبة... كلّما وجد إبهام نزلت آية ترفعه[1].

درس الأخلاق والحياة

السلوك والتعامل مع العائلة:

قليلًا ما تشاهدون أمثال هذا الإنسان بين البشر أصحاب العواطف

---

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (18/2/1377) (8/5/1998).

فيما له علاقة بالحياة العائليّة[1] وباعتباره والدًا، لقد كان هذا الإنسان عظيمًا ومجاهدًا ومضحيًا في ساحات النضال، وحنونًا عطوفًا رحيمًا. قد سمعتم كيف كان يتعامل الرسول الأكرم مع الحسنين - حفيديه- وهكذا كان يتصرّف مع الأطفال الآخرين، حتّى مع الأطفال الأجانب. كان الرسول يسير نحو المسجد وكان الأطفال يلعبون في الطريق. وهناك خاطبه أحد الأطفال: إنّك يا رسول الله تأخذ الحسن والحسين على كتفيك، فخذنا نحن أيضًا. لم يمانع الرسول فقام برفع طفلٍ إلى هذا الكتف وآخر إلى ذاك، ثم أنزلهما بعد أن مشى قليلًا ثمّ طلب منه طفلان آخران أن يصعدا على كتفيه. كان يرغب أن يحمل الأطفال. وكان وقت الصلاة يأخذ بالاقتراب. وفي هذه الحالة جاء بعض الأصحاب الذين إمّا كانوا يعبرون من المكان أو جاؤوا من المسجد لتفقّد الرسول، فوجدوه يحمل الأطفال فعاتبوهم وأنزلوهم عن كتفيه وتابع الرسول مسيره إلى المسجد. هذا، نموذج عن سلوك الرسول مع الأطفال. كان في عائلته مظهر العاطفة

(1) كان إذا آوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءٌ لله عزّ وجلّ، وجزءٌ لأهله وجزءٌ لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة والخاصة ولا يدخر منه شيئًا. فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم وأصلح الأمة. (الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص 13). وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويفتح الباب ويحلب الشاة ويعقل البعير فيحلبها ويطحن مع الخادم إذا أعيا... (العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 16، ص 227).
كان رسول الله ﷺ يأكل كل الأصناف من الطعام وكان يأكل ما أحل الله له مع أهله وخدمه إذا أكلوا ومع من يدعوه من المسلمين على الأرض وعلى ما أكلوا عليه، ومما أكلوا إلا أن ينزل بهم ضيف فيأكل مع ضيفه وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف. (الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص 26).

باعتباره والدًا؛ إذ ليس صحيحًا أنّه إذا كنّا من أصحاب الجهاد والعمل والحركة في ساحة الحرب وتحمّل المصائب فعلينا أن نعفي أنفسنا من العاطفة والمحبة والليونة والمظاهر الإنسانيّة الطبيعيّة في الإنسان؛ كان الرسول في المنزل، مظهر العاطفة والمحبّة والإحساس المرهف. قرأت في روايةٍ أنّه عندما نزلت آية ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[1]، أصبحوا ينادونه يا رسول الله ولا ينادونه باسمه. دخل الرسول المنزل. بمجرّد أن شاهدته فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: يا رسول الله السلام عليكم كانت هي أيضًا تنادي الرسول بعبارة يا رسول الله احتضن الرسول ابنته ولاطفها وقال لها: يا ابنتي ناديني يا أبتي، ولا تقولي يا رسول الله! هذا أعذب عندي. عندما كان يريد السفر، كان آخر شخص يراه هو فاطمة الزهراء. وعندما كان يرجع، كان أوّل من يزور فاطمة الزهراء.

... لكنّه مع تلك العاطفة الشديدة تجاه ابنته -فاطمة الزهراء -كان يقول إنّه اذا سمع أنّها استعارت وسائل بيت المال وأدخلتها المنزل، لجازاها كما يجازي الآخرين. «**إنّني لا أُغنِ عنك من الله شيئًا**»[2]. كان مع كلّ ما يحمل من محبّة شديدة لابنته، على استعدادٍ للوقوف بوجهها إذا ناقضت العدل بتصرّفٍ ما أو إذا تجاوزت حقًّا[3].

---

(1) سورة النور، الآية 63.

(2) مسلم النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت. لبنان، ج 1، ص 133.

(3) من كلامه في مركز التوحيد (10/8/1365) (1/11/1986).

التعامل مع الناس:

عندما نقول نحن أخوة، فهذا ليس مجاملة في الإسلام، أي إنّ المسلمين حقيقةً يمتلكون حقّ الأخوة فيما بينهم وهم يطالبون بعضهم البعض؛ كما أنّ الأخوة مدينون بعضهم لبعض ويجب عليهم مراعاة الحقوق المتبادلة بينهم. وهذا ما طبّقه الرسول ﷺ[1].

سلوك المسؤولين مع الناس:

لقد فعل الرسول ما هو أصعب من الجميع. عندما كان يرى شخصًا قد ظهر عليه التعب في حفر الخندق [أثناء معركة الخندق]، وبدا أنّه لم يعد باستطاعته التقدّم، كان يذهب ويأخذ المعوَل منه ويبدأ العمل؛ أي إنّه لم يكن حاضرًا من خلال إصدار الأوامر فقط؛ بل كان حاضرًا بجسده بين الجموع[2].

كانت إدارته الاجتماعيّة والعسكريّة في أعلى مستوياتها، فكان يلاحق كافّة الأمور. طبعًا كان المجتمع صغيرًا؛ المدينة وأطرافها، وبعد ذلك أضيف إليه مكّة ومدينةً أو مدينتين أخريين؛ إلّا أنّه كان مهتمًّا بأمور الناس وكان منظّمًا ومرتّبًا. وقد أجرى في ذاك المجتمع البدوي، الإدارة والحساب والمحاسبة والتحفيز والتنبيه بين الناس. هذه هي الحياة الاجتماعيّة للرسول التي يجب أن نقتدي بها جميعنا، من مسؤولي البلد وأفراد الشعب[3].

حاولوا قدر المستطاع أن تكون إدارتكم إسلاميّة. الإدارة الإسلاميّة،

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).
(2) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/2/1380) (18/5/2001).
(3) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/2/1380) (18/5/2001).

تعني الأخلاق الإنسانيّة بالإضافة إلى القدرة الإداريّة. هل شاهدتم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1]؟ يطلب الله تعالى من الرسول أن يلتفت إلى هؤلاء الناس ويهتمّ بهم. بعد حرب أُحد شعروا بالهزيمة والألم؛ لذلك شاورهم، تعامل معهم بإحسان؛ ولكن ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2]. الإدارة عبارة عن: الأخلاق الحسنة، القاطعيّة، والقوة الإداريّة، والتوكّل على الله في كلّ حال، وطلب الخير من خالق العالم والاعتماد عليه[3].

التعامل مع المعلّمين والتلاميذ:

تلاحظون الاهتمام الكبير الذي أولته الثقافة والتعاليم الإسلاميّة للمعلّم، وتواضع الطالب أمامه. إنّ هذا الأمر مطلوب. مع العلم أنّ الإسلام لا يقبل لأيّ إنسان أن يعتبر نفسه صغيرًا وحقيرًا أمام إنسان آخر؛ إلّا أنّ هذا الأمر هنا من الحالات الاستثنائيّة.

ما يؤسَف له أنّ الموجود في ثقافة العالم المادّي عكس ذلك، حيث لا يرى هذا الأمر على الإطلاق؛ أي إنّ الثقافة التي اقتبسناها من الأوروبيّين، لا وجود فيها لاحترام المعلّم. لا نقول إنّهم كتبوا في كتبهم أن لا تحترموا المعلّم، بل لم يُلحظ في الثقافة الغربيّة عادة احترام المعلّم والتربية عليها[4]!

(1) سورة آل عمران، الآية 159.
(2) سورة آل عمران، الآية 159.
(3) من كلام له في لقاء قادة القوة البحرية في الحرس (5/2/1377) (25/4/1998).
(4) من كلام له في لقاء وزير التربية والتعليم والمعلمين النموذجيين (12/2/1370) (2/5/1991).

التعامل مع الجميع بمحبّة:

... حاولوا أن تحبّوا الجميع؛ هذا تكليف وتعليم إسلامي؛ ليس هذا بالأمر السيّئ. لا يجب إيجاد المبرّر للعداء، وأن يقوم الشخص بإخراج آخر من لائحة محبّته لمبرّرات معيّنة؛ لا! إنّ أجواء المجتمع الإسلامي، هي أجواء المحبّة حتّى لو كنتم لا تعرفون الشخص[1].

التعامل مع العقائد والقيود الاجتماعيّة الخاطئة:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[2].

جعل الله تعالى وضع الإصر والأغلال عن أعناق البشر واحدة من خصوصيّات الرسول -الإصر تعني الالتزامات المفروضة على الإنسان- وهذا مفهوم واسع جدًّا وعجيب. لو أخذنا بعين الاعتبار وضع المجتمع الديني وغير الديني في تلك المرحلة، ستجدون أنّ هذا «**الإصر**» -الالتزامات والعقود المفروضة على الإنسان- يشتمل على الكثير من العقائد الباطلة والخرافيّة والكثير من القيود الاجتماعيّة الخاطئة التي فرضتها على الناس أيدي الاستبداد أو التحريف. «**الأغلال**» واضح وهو الغل والسلاسل[3].

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (28/7/1368) (20/10/1989).
(2) سورة الأعراف، الآية 157.
(3) من كلام له في جمع طلاب جامعة تربيت مدرس (12/6/1377) (3/9/1998).

درس الحرب

الأهداف والدوافع:

إنّ كافّة حروب النبيّ كانت حروبًا دفاعيّة. هذا لا يعني أنّه في كافّة العمليّات كان يجلس، ليأتوا ويهجموا عليه! لا، الدفاع بهذا المعنى ليس صحيحًا. لو لم يتسلّح الرسول، لو لم يستعدّ، لولا ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[1]، لتمّ القضاء من الأيّام الأولى على الإسلام والقرآن والرسول والمجتمع الإسلامي؛ لذلك كان الرسول مجبَرًا على الحرب[2].

الأصول التي يجب مراعاتها في الحرب:

من جملة وصايا الرسول في ساحة الحرب، للأشخاص الذين كانوا يذهبون للحرب، الرحمة بالنساء والأطفال، والشهامة في التعامل مع جنود العدوّ، وعدم قطع الماء عنهم، وعدم منعهم من الطعام؛ وقبول استسلام البعض؛ وقبول من ادّعى الإسلام حتّى لو كان الأمر في أوج المعركة؛ أي الابتعاد بالكامل عن حالة الانتقام والخشونة. كان الكفّار الذين لا يشعرون بخصومة وعداء مع الرسول، يأتون إليه، فكان عطوفًا

(1) سورة الأنفال، الآية 60.

(2) من كلام له في معسكر الإمام الحسين عليه السلام (19/6/1984) (30/3/1363) .
صحيفة الإمام، ج 10، ص 106:
إذا نظرنا إلى عهد الرسول الأكرم ﷺ وخلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، نجد أنّ حروبًا كثيرة حدثت وكلها كانت تربية للمجتمع وتهذيبه. فلقد خاض رسول الإسلام ﷺ حروبًا متعددة وخسر بعضها لكن مبدأه لم يُهزم وكان محفوظًا.

رحيمًا معهم إلى مستوى أنّهم كان يخجَلُون من ذلك[1].

... لقد وصل رسول الله هذه القلوب بعضها ببعض وأخرج منها مجموعة واحدة مُحكَمة. حتّى إنّ أعداء الإسلام من المؤرّخين الذين تبانوا على الغفلة عن التأثيرات المعنويّة في فتوحات الإسلام - سواء العرب أو الأوروبيّين الذين كتبوا تاريخ الإسلام وتاريخ الحضارة الإسلاميّة -لم يتمكّنوا من إنكار هذه المسألة، وهي أنّ المسلمين كانوا كاليد الواحدة التي فيها عدد من الأصابع يتحرّكون ويعملون كقبضة واحدة وعنصر واحد؛ كانوا كالعنصر الواحد الذي لا يقبل التفكيك كما تتحدّث الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2]. كأنّهم إذا أرادوا إحكام قاعدة، وضعوا الرصاص على الأساس عند ذلك لا يمكن أن تهتزّ. كان يظهر هكذا بنيان في ساحات الحرب ومواجهة العدوّ؛ لذلك كان النصر حليفه من دون استثناء[3].

---

(1) كان ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية بعثها أول النهار وفي الكافي: بإسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام: أن النبيّ ﷺ إذا بعث بسرية دعا لها وفي قرب الإسناد: عن الريان بن الصلت قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان رسول الله ﷺ إذا وجه جيشًا فأمّهم أمير بعث معه من ثقاته من يتجسس له خبره. وفي الكافي: بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن النبيّ ﷺ كان إذا بعث أميرًا له سرية أمره بتقوى الله عزّ وجلّ في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة، ثم يقول: «قاتلوا الكفّار بسم الله وفي سبيل الله، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا متبتلًا في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعًا لأنّكم لا تدرون، لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلّا ما لا بدا لكم من أكله، وإذا لقيتم عدوًا للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم (العلامة الطباطبائي، سنن النبيّ، ص 84 - 86).

(2) سورة الصف، الآية 4.

(3) من كلام له في مركز التوحيد (10/8/1365) (1/11/1986).

كان رسول الله قائدًا عسكريًا. وكان التنظيم العسكري في القديم يقتضي وضع القائد في مكان ليبقى بعيدًا عن الخطر. السبب في ذلك واضح، وفيه وجه معقول ومنطقي، فلو كان القائد في المقدمة ثم قُتل، عند ذلك يضطرب الجهاز العسكري بأكمله؛ وأمّا إذا كان في الخلف كان بإمكانه الاستمرار في المعركة حتّى لو قُتل نصف الجنود، وعلى الأقلّ بإمكانه الانسحاب والنجاة؛ ولكن عندما يُقتل القائد، لا تختلط الأمور فحسب، بل قد تكون الخسائر أكبر. أمّا رسول الله الذي كان يتمتّع بقوى غيبيّة فوق المعتاد، فكان يتقدّم الجميع؛ ليحارب عندما يصبح الأمر صعبًا وعندما يبدأ العدوّ هجومًا كبيرًا، وعندما لا يبقى باستطاعة المقرّبين أمثال أمير المؤمنين والحمزة والآخرين التحمّل والمقاومة فيلجؤون إليه[1].

كيفيّة قبول الصلح:

في العام السادس للهجرة توجّه الرسول نحو مكة. لقد وعد الله تعالى رسوله بدخول مكّة وقام الرسول بدوره بإخبار الناس بذلك. جاء المسلمون على أساس أنّهم سيدخلون مكة. تجمّع الأعداء في مكانٍ يُسمّى «**الحديبيّة**» ومنعوهم من الحركة. أرادوا قتل المسلمين وإزالتهم بالكامل؛ إلّا أنّ الله تعالى حفظ المسلمين وحفظ عباده وانتهت القضيّة بكتابة صلح عُرِف بـ«**صلح الحديبية**». عندما كانوا يكتبون معاهدة الصلح، طلب الرسول من أمير المؤمنين أن يكتب بعد اسم محمد، كلمة «**رسول الله**». اعترضوا وقالوا: نحن لا نعتقد بأنّك رسول الله. وافق الرسول وطلب من أمير المؤمنين إزالة

(1) من كلام له في مركز التوحيد (10/8/1365) (1/11/1986).

هذه الكلمة. تحدّث أمير المؤمنين إلى الرسول بأنّ قلبه لا يسمح له بإزاله هذه الكلمة، فبادر بنفسه إلى ذلك، حيث بدأ الرسول معاهدة الصلح هذه بعبارة «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، التي تمثّل شعارًا إسلاميًّا. اعترض الكفار بأنّهم لا يعرفون الرحمن الذي يتحدّث عنه وطلبوا منه الشروع بعبارة «**بسمك اللّهم**» وهو الشعار الذي كان يستخدمه المشركون وكفّار قريش. فوافق الرسول على تدوين عبارة «**بسم الله**». تعجّب المسلمون ممّا آلت إليه الأمور وارتفع ضجيج بعض المسلمين الذين خاطبوا الرسول: ماذا تفعل؟ ألَسنَا على الحقّ؟ أليسوا هم على الباطل؟ ووصلت الأمور عند أحد المسلمين المعروفين ليقول بأنّه في ذاك اليوم أخذه الشكّ في نبوّة الرسول! هل تعرفون العبارات التي تحدّث بها القرآن الكريم حول هذه الحادثة؟ الآيات الأولى في سورة «**الفتح**» التي تقول: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾[1]؛ تشير إلى هذا الصلح. إنّ الفتح المبين الذي تحدّث عنه القرآن، هو صلح الحديبيّة، وليس حروب بدر وحنين وأُحد والأحزاب. في الحروب قبل صلح الحديبية، كان الرسول في مكان فاتحًا مطلقًا -كبدر- وفي مكان آخر تعرّض لانتكاسة -كأحد-وفي مكان ثالث قد حوصر - كالأحزاب - وانتهى الأمر في مكان آخر إلى الموادعة[2]، كما في بعض الحروب الأخرى. إنّ صلح الحديبيّة لم يجعل شعار حرب «**بدر**» و«**أُحد**» شعارًا خاطئًا على الإطلاق إذ أنّ الرسول لم يتراجع عن شعار الحرب مع الكفّار والمشركين، ولم يغيّر موقفه، إلّا

(1) سورة الفتح، الآية 1.
(2) أو المتاركة.

أنّ المصلحة ذاك اليوم كانت ما حصل؛ كما كانت المصلحة في «**بدر**» ما حصل، وكذلك في «**أُحد**» و«**الأحزاب**»؛ هذه هي الجذور التاريخيّة لهذا العمل. تلاحظون أنّ كل شيء في تاريخ الإسلام، ينطبق على نظامٍ منطقي وواضح وفي مكانه[1].

أسلوب التعامل مع المنهزمين والأسرى:

كانوا يأتون إلى الرسول ﷺ ببعض المسيحيّين الذين يتمّ أسرهم في بعض الحروب – سواء من القبائل العربيّة أو غير العربيّة – حيث كانوا يتأثّرون بأخلاق الرسول ﷺ ما يدفعهم إلى دخول الإسلام، وقبول دين الرسول؛ هذه هي ليونة وعطف النبيّ[2].

تنتهي الحروب إلّا أنّ التجارب تبقى. الأحداث الكبيرة تحمل دروسًا للبشريّة وسيبقى هذا الدرس في صدور وأذهان البشريّة وهو أنّ حضارة؛ رغم مع كلّ ما فيها ومع كلّ ادّعاءاتها؛ خرجت مهزومة من ساحة الامتحان من خلال الأعمال التي يمارسها هؤلاء [الأمريكيون]، من إشعال الحروب والظلم وعدم العدالة والغرور والسلوكيّات غير العاقلة. ومن أبرز تجارب هذه الحضارة، إشعال الحروب، تهديد السلام، قتل الأبرياء، صرف رساميل طائلة على الحروب تحت مبرّرات لا يمكن الوثوق بها. قارنوا بين هذه وبين الحضارة الإسلاميّة عندما فتح المسلمون المناطق الغربيّة في العالم الإسلامي– أي مناطق الروم وسوريا اليوم –في زمان الخلفاء

(1) خطبتا صلاة الجمعة في طهران (31/4/1367) (22/7/1988).
(2) من كلام له في مركز التوحيد (10/8/1365) (1/11/1986).

الراشدين، حيث تعاملوا مع اليهود والمسحيّين بأسلوب جعل الكثيرين منهم يتوجّهون نحو الإسلام. وفي بلدنا إيران استسلم الكثير من الناس من دون مقاومة! لأنّهم شاهدوا مروءة ورحمة ومداراة المسلمين للأعداء؛ لذلك جاءوا بأنفسهم إلى الإسلام. يذكر التاريخ أنّه عندما دخل المسلمون «روما»، كان اليهود يردّدون عبارة: «والتوراة»؛ قسمًا بالتوراة إنّنا لم نرى يومًا جميلًا في حياتنا كهذا اليوم[1].

درس العزّة

كان العلم لدى الرسول مترافقًا مع الأخلاق؛ الحكومة مع الحكمة؛ عبادة الله مع خدمة الخلق؛ الجهاد مع الرحمة؛ عشق الله مع عشق مخلوقاته؛ العزّة مع التواضع؛ التدبير اليومي مع بُعْد الرؤية؛ الصداقة مع العمق السياسي؛ استغراق الروح بذكر الله مع الاهتمام بما هو في مصلحة وسلامة البدن. كانت الدنيا والآخرة مترافقتان والأهداف الإلهيّة المتعالية مع الأهداف البشريّة الجذّابة كذلك[2].

درس التعليم

ليس المسلمون وحدهم من كان يستفيد من التعاليم النبويّة. إنّ المعرفة المعاصرة في الدنيا، والحضارة المعاصرة، والمعرفة الموجودة اليوم في هذا العالم وتطوّر القافلة البشريّة، كلّ ذلك مرهونٌ لوجوده. إنّ

(1) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (23/7/1380) (15/10/2001).
(2) من كلام له في جمع زوار الحرم الرضوي (1/1/1385) (21/3/2006).

هذا المعنى ليس ادّعاؤنا نحن المسلمون. إنّ كافّة المؤرّخين والمنصفين من الأشخاص يوافقون على أنّ ظهور الصحوة [النهضة] العلميّة في العالم الإسلامي، ساهمت في انتقالها إلى الأماكن الأخرى عن طريق التبادل وحتّى عن طريق الفتوحات والحروب[1].

درس الرحمة والكرامة

يمكن تشبيه الرسول الأكرم بأكثر النجوم تلألؤًا في كائنات عالم الوجود والإشارة إلى ذاك الوجود العظيم والمقدّس بهذا العنوان. لماذا نقول النجم المتلألئ ولا نقول الشمس؟ لأنّ الشمس جسم وجرم مشخّص ومعيّن، مضيئة وذات عظمة؛ إلّا أنّها جرم وكرة سماويّة؛ في النجوم التي تشاهدونها، هناك نجوم تشكّل مجرّة، أكبر آلاف المرّات من المجرّات التي نراها فوق رؤوسنا في السماء ليالي الصيف. المجرّة أي المجموعة التي تحتوي على آلاف النجوم والآلاف من الشموس. إنّ وجود الرسول شبيه بوجود المجرّة وفيه آلاف النقاط المضيئة بالفضيلة.

درس الوحدة

باشر الرسول عمله بمجرّد دخوله المدينة؛ فبنى مسجدًا؛ ثم خطّط لإدارة وسياسة ذاك النظام؛ قد لا يتمّ الالتفات لو نظر الإنسان إلى كلّ واقعة على حدة؛ [لذلك] يجب أن يدقّق ويشاهد كيفيّة تنظيم العمل؛ كيف جرى القيام بكافّة هذه الأعمال، بأسلوبٍ يدلّ على التدبير والوعي والحساب الصحيح.

(1) من كلام له في جمع زوار الحرم الرضوي (10/4/1378) (1/7/1999).

في البداية، تمّ إرساء الوحدة. لم يكن أهل المدينة قد أسلموا بأجمعهم، أكثرهم دخل الإسلام والبعض القليل بقي غير مسلم. فأوجد الرسول الأكرم ميثاقًا جماعيًا عامًا.

... الحركة الأخرى التي قام بها الرسول، هي إيجاد الأخوّة. من أهم المصائب التي ابتلى بها المجتمع العربي المتعصّب والجاهلي في ذاك الزمان، الأرستقراطيّة، والعصبيّات الخرافيّة، والغرور القبلي، وانفصال طبقات الناس المختلفة بعضها عن بعض. عندما دعا الرسول إلى الوحدة، فقد داس على ذلك كلّه[1].

أفضليّة الرسول ﷺ

كان الرسول ﷺ بنفسه في أوج عالم الخلق من ناحية الشخصيّة؛ سواء في تلك الأبعاد التي يمكن للبشر فهمها، أمثال المعايير الإنسانيّة المتعالية: العقل، والتدبير، والوعي، والكرم، والرحمة، والعفو، والقاطعيّة والأمور الأخرى من هذا القبيل؛ أم في الأبعاد التي لا تحيط بها الأذهان البشريّة: الأبعاد التي تبيّن تجلّي الاسم الأعظم للحقّ في وجود الرسول الأكرم ﷺ ومقام قرب الرسول من الله تعالى؛ وهي الأمور التي نسمع عنها ونعلمها بالاسم والشكل فقط؛ أمّا حقيقتها فهي معلومة لله تعالى والأولياء العظام؛ كذلك رسالة ذاك العظيم التي هي أسمى رسالة وأهمّها لسعادة الإنسان؛ رسالة التوحيد، رسالة الارتقاء بالمرتبة الإنسانيّة[2].

(1) من كلام له في لقاء مسؤولي النظام (1379-2-31) (2000-5-20).
(2) من كلامٍ له في لقاء مسؤولي النظام (1379-2-31) (2000-5-20).

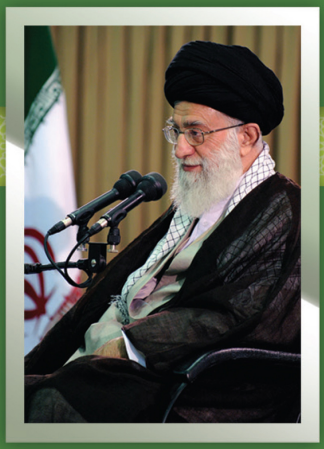

1007020

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org